دعوة الحق

الإنسان

الروح العقل والنفس

تأليف
الدكتور/ لبيب عبد الرحمن عثمان

السنة السابعة - العدد ٧٠
محرم ١٤٠٨هـ - اغسطس ١٩٨٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله أحسن خلق الإنسان ، وصوره فأحسن صورته ، وهداه النجدين ، وجعله سميعاً بصيراً ، وحمله أمانة العمل مع أمانة الفكر ليسلك باختياره أى السبيلين : إما شاكراً وإما كفوراً .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ــ وبعد ..

هذا الكتاب : «الإنسان الروح والعقل والنفس» هو بيان مدلل عليه من القرآن الكريم وحديث الرسول عليه الصلاة والسلام ــ عن حقيقة الإنسان .. كخليفة لله فى أرضه ، وما زوده الله به من غرائز ومواهب يستطيع بها أن يختار طريق الحق أو طريق الباطل ، وسبيل الهدى أو سبيل الضلال .

ولم يدعه الله عزّ وجلّ لهذه الغرائز والمواهب الفطرية وحدها .. بل أرسل إليه رسله ، وانزل إليه كتبه .. لتذكره بمقامه الإنسانى الرفيع فى هذا الوجود البديع ، ومهمته فى الاهتداء لنفسه ، وهداية غيره إلى الخير والحق والهدى والجمال ..

وقد وفق الله مؤلف الكتاب الدكتور نبيه عبدالرحمن عثمان لبيان هذا المقام الكريم للإنسان العظيم ــ فجزاه الله خيراً .

أحمد محمد جمال

مقدمة

كلمة موجزة

الإنسان أعظم ما خلق الله . خلقه سيداً وخليفة له فى الأرض حمله الأمانة وتبعات المنهج الآلهى . وهداه السبيل وجعل فى نفسه هداها والهمها فجورها وتقواها .

لقد طاف فى النفس طائف يدعونى إلى النظر فى خلق الإنسان المعجزة . الإنسان كما وصفه بعض العلماء ذلك المجهول . واستنرت فى دراستى هذه بنور الدعوة الآلهية لبنى البشر للنظر فى أنفسهم . فكانت دعوة الحق هذه مبعث الهام وفيض حماس وشحذاً لقواى الضعيفة كى أطوف بفكرى المتواضع حول خلق الإنسان معنًى وحكمة وأتدبر القصد والحكمة والهدف من خلق الإنسان خليفة الله على هذه البسيطة .

قال تعالى : ﴿**وفى الأرض آيات للموقنين . وفى أنفسكم أفلا تبصرون**﴾ .

لقد كان لى مع كتابى الأول «معجزة خلق الإنسان بين الطب والقرآن» وقفة تأملت فيها خلق الإنسان المعجزة فى تكوينه المادى .

وفى هذا الكتاب الموجز تلمست الطريق نحو الجانب الروحى فى التكوين الإنسانى . وبقناعات راسخة ودراسات عميقة ومستفيضة

تيقنت تماماً أن دراسة الإنسان وفهم غاية وجوده واجب على كل فرد أراد أن يسلك سبل معرفة الله حق معرفته وأقول حقاً أن الإنسان معجز فى طبيعته ومعجز فى وظيفته وغاية وجوده .

والإنسان مخلوق لغاية فلم يخلق عبثاً هذا هو التصور الإسلامى لمعنى الوجود الإنسانى .

وبالعقل الذى كرم الله الإنسان به وأودع فيه من القدرات والطاقات ما لا يقدر العقل نفسه أن يدركه . وبهذا العقل الذى تأهل به الإنسان لمعرفة خالقه والنظر فى آياته . بهذا العقل تأملت مفكراً فى قصة خلق الإنسان كما جاءت فى السياق القرآنى . فهو المصدر الوحيد لمعرفة هذه القصة . فلم يشهد خلق آدم أحداً من البشر ولولا فيض نعمة الله حين أخبرنا بأحداث قصة خلق آدم ما عرفنا حقيقة هذه القصة .

لقد أخبرنا الله بأحداث لحظة الخلق العظمى لآدم كى نستخلص الدروس ونستوعب الحدث : أنها لحظات خالدة فى سجل الكون تتجلى بها معانى وآيات القدرة الإلّهية العظيمة فى الخلق والتكوين .

وأمعنت النظر من حولى لأشاهد فى الكون لمسات الجمال والابداع وايقنت أن آثار العظمة الدالة على الله هى فى كل شىء فهذه الأرض جعلها الله أفضل مهاد وأحسن وأوفر قرار لمعيشة الإنسان . وقد أودع فيها الخالق كما لا حصر له من النعم كلها مسخرة طائعة فى سبيل حياة رغدة ميسرة لبنى الإنسان ، والمتأمل لهذا الكون الواسع يقف مندهشاً أمام عظمة النواميس التى تتحكم

فى نظام الموجودات فى الكون لكن حين استقر اليقين فى القلب وأدركت الألباب حقيقة القوة المعجزة وراء خلق هذا الكون وهو الله . عندئذ خشع القلب وركعت النفس وذبلت العين خوفاً وخضوعاً وطاعة للخالق العظيم .

والكيان الإنسانى بقسميه القسم المادى العضوى والقسم الروحى هى آيات اعجاز ودلائل عظمة تشير إلى قدرة الخالق .

ولقد استعرضت ما أعاننى الله عليه فى بحثى عن الكيان الإنسانى المادى فى كتابى «معجزة خلق الإنسان بين الطب والقرآن» وفى هذا الكتاب تأملت فى النفس البشرية بعد أن استعرضت قصة الخلق العظمى وآدم عليه السلام . ثم ماكان من عداوة إبليس لآدم وذريته . ومروراً بلحظات الغفلة الكبرى التى انتابت أبو البشرية والتى نفذ من خلالها إبليس إلى نفس آدم عليه السلام وأخذ يوسوس له ويمنيه بالخلود والملك الذى لا يبلى إلى أن حدثت خطيئة آدم وخروجه من الجنة .

انها لحظات خالدة فى حياة البشرية . تلك اللحظات التى شهدت خلق آدم وكذلك شهدت انطلاق الشرارة الأولى للمعركة الخالدة بين الخير والشر .

أما النفس البشرية فهى طاقة كبرى وهى مكنون عميق ليس من السهل استجلاء كل بواطن الخفاء وليس من اليسير استقراء الأسرار الكامنة داخلها .

لكن منهج الله الخالق لهذه النفس يتعرض دائماً إلى مواجهة الإنسان بحقائق عن تكوينه النفسى . والنفس هبة من الله للإنسان

كرمه بها وبهذه النفس ارتقى الإنسان وسما بمكانته بين سائر المخلوقات .

وللنفس البشرية سمات وصفات كثيرة أوردها القرآن كتابنا الخالد الذى هو من لدن خالق النفس ومبدع تكوينها فكان ما جاء به القرآن الكريم أعظم تحليل للنفس .

وقد وصف القرآن الكريم أحوال النفس البشرية وسلوكها . فهى إما نفس ضعيفة تنقاد إلى الحس الظاهرى وتميل إلى الغرور والتعالى والأنانية . وليس للقيم والمبادىء فى داخلها من وجود إنها نفس شريرة لا تسكن ولا تهدأ ولا تزهد فى الشهوة . وهى دائماً منحرفة شاردة ضالة عن الهدى إنها النفس التى أطلق عليها الحق النفس الأمارة بالسوء . وتلك النفس اللوامة التى هى فى صراع بين الخير والشر تنتابها حالات الندم والتأنيب بعد كل خطيئة .

أما النفس التى لا ترى غير الفضيلة مبدأ ولا تختار غيره طريقاً ومسلكاً . ومتوكلة مطمئنة لقضاء الله خالقها وموجدها . راضية بما رزقها من خير أو شر تجاهد دائماً نحو الخير . إنها النفس المطمئنة .

والسلوك الإنسانى له معانٍ سامية راقية فى القرآن الكريم . وغاية الدين الإسلامى تقويم السلوك الإنسانى وضبط الدوافع الذاتية فى النفس البشرية والصفات الإيجابية للسلوك الإنسانى أوردها القرآن الكريم فى أحوال متعددة منها الاعتدال وحسن الخلق والجود والكرم والتواضع والأمانة والحلم والرفق والشكر لله الخالق المنعم على الإنسان بالوجود . أما الصفات السلبية فى النفس البشرية فأشار إليها القرآن بالضعف والعجلة والبخل والكفر والهلع والنميمة

والنفاق والطغيان . هكذا نرى أن الاسلام جاء لتقويم النفس البشرية جاء لتطهير النفس من صفات الضعف والوهن التى قد تشوه صفحة تكوينها .

وعلماء النفس لا ينظرون إلى النفس إلّا من خلال العيوب والانحرافات . ولا يقولون لنا شيئاً عن الصفات الإيجابية عن النفس الإنسانية بينما علمنا الدين الاسلامى أن قمع الشهوات هو شاهد على سلامة النفس والاحساس بالذنب هو علامة صحة والتوبة موقف ندم وكلها تدل على فطرة إيمانية سوية . والدين جاء لتغيير النفس البشرية وتبديل مواقفها والدين يقول دائماً بإمكانية تبديل النفس وتغيرها جوهرياً .

والأمل يحدونا أن ترتقى وتسمو نفوس المسلمين . ورائدنا فى هذا البحث المتواضع أن نفتح أمام أعين المتبصرين من شباب أمة الاسلام أبواب الرشاد والهدى كى يدركوا غاية وجود الإنسان كما أرادها الخالق صلة عبادة وتقرّب وتوبة .

دكتور نبيه عبدالرحمن عثمان

الباب الأول

الفصل الأول

« من هو الإنسان »

الإنسان أعظم ما خلق الله لذلك كان أبدع ما يعرف الله به .

فبقدر ما يعرف الإنسان نفسه يعرف ربه ، وبقدر ما يجهل نفسه يجهل ربه ، وصدقت الحكمة التى تقول «من عرف نفسه عرف ربه» والإنسان آية عظمى تنطق وتشهد على عظمة الخالق ، وهو دليل اعجاز فكان لابد من نظر الإنسان فى نفسه وفيما أودع البارىء سبحانه فيه من العقل والاعضاء والأجهزة الكاملة فى صنعها التامة فى أدائها فكانت خلقة الانسان على أجمل صورة وأحسن تقويم .

قال تعالى ﴿**لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم**﴾[1] الإنسان وقد خلقه الله بيديه جعل صورته الخلقية الجسدية فى غاية الكمال بالنسبة لبقية الاحياء على الأرض ، فالتكوين الإنسانى فى أجهزته الظاهرية والداخلية يتجلى فيه كمال الصنعة والدقة التامة فى تناسق الأجهزة والأعضاء .

قال تعالى : ﴿**خلق السماوات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإلى المصير**﴾[2] والإنسان خليفة الله فى الأرض

---

(١) سورة التين/٤ . (٢) سورة التغابن/٢ .

هو المختار من بين سائر المخلوقات فكان فى أحسن تقويم تكويناً جسدياً وعضوياً فقامته تنتصب معتدلة إلى أعلى دون غيره من المخلوقات .

والإنسان سيد فى هذا الكون عظيم فى طبيعته ومعجز فى وظيفته وغاية وجوده ، ومعجز فى مآله ومصيره إنه مخلوق غير مكرر بين جميع المخلوقات التى عرفناها .

والإنسان مخلوق بقدر فلم يخلق مصادفة ولا جزافاً ومخلوق لغاية فلم يخلق عبثاً ، وهذا يتضح جلياً ويتأكد يقيناً فى التصور الإسلامى للإنسان ، فهو سيد هذه الأرض وخليفة الله فيها وكل ما فيها مسخر له بقدرة الله تعالى ، وقد أعطاه الله الطاقات كى يكشف بالعلم كنوز الأرض ويتمتع بطيباتها وجمالها نعمة خالصة من الله .

لكن هذا الإنسان على كل ما استودع الله فيه أمانة الخلافة فى هذه الأرض ، وعلى كل ما سخّر له من القوى والطاقات والأشياء وعلى كل ما أودع الله فيه من طاقات المعرفة والاستعداد لادراك الجوانب الضرورية له فى الخلافة وفى النواميس الكونية ومع كل هذا فهو مخلوق ضعيف تغلبه شهواته أحياناً ويحكمه هواه تارة ويقعد به ضعفه حيناً ويلازمه جهله بنفسه فى كل حين .

قال تعالى : ﴿**إن الإنسان خلق هلوعاً . إذا مسه الشر جزوعاً . وإذا مسه الخير منوعًا**﴾[1] وقال تعالى : ﴿**والله أنبتكم من الأرض نباتاً . ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجاً . والله جعل لكم الأرض**

---

(١) سورة المعارج/١٩ ـ ٢١ .

بساطا . لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً﴾[1] .

والإنسان هو أنا وأنت وهذا المخلوق العجيب الذى خلقه الله من العدم حين خلقه من التراب ثم تناسلت منه هذا الكم البشرى من بنى آدم وفى خلق الإنسان وتطوره من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ، آيات تدل وتشير إلى عظمة الخالق .

قال تعالى : **﴿وفى الأرض آيات للموقنين . وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾**[2] والمراد بالإنسان عموم الناس وسائر البشر فهم خلقوا من علق على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ، ووحدة الخلق تدل على الخالق سبحانه وتعالى والله عز وجل خص الإنسان بالذكر تشريفا له وتنويها بشأنه وعلو قدره بين سائر المخلوقات . وفى نفس الوقت بين الله قدر نعمته التى لا تحصى على هذا الإنسان بأن خلقه من علقة مهينة حقيرة صغيرة ثم جعله بعد ذلك بشرا سويا وهبه نعمة العقل فكان من أعظم ما شرفه به وكرمه بهذا العقل إدراك الإنسان مكنون الأشياء ، وألحقه الله بسببه بعالم الملائكة ، حتى تأهل بهذا العقل لمعرفة خالقه بالنظر فى مخلوقاته واستطاع بهذا العقل الاستدلال على مخلوقات الله ومعرفة صفاتها ولننظر إلى هذا العقل العجيب الذى تشرف الإنسان به ، كيف يملك القدرة على التدبير وفنون العلم وكيف ان العقل مستقر المعرفة وبصائر الحكمة وبه يستطيع التمييز بين الخير والشر ، إن العقل حقا أعظم ما شرف الله به هذا الإنسان . والأوانى تشرف بشرف ما يوضع فيها .

---

(١) سورة نوح/١٧ ـ ٢٠ .

(٢) سورة الذاريات/٢٠ ـ ٢١ .

الإنسان فى القرآن الكريم غير البشر ، فمواضع ورود كلمة « بشر » فى القرآن تعنى أن صفة البشرية فيه هى هذه الأدمية المادية التى تأكل الطعام وتمشى فى الأسواق وبهذه الدلالة ورد لفظ البشر ، ومن أبرز ما ورد عن البشرية فى القرآن هى ما ورد فى بشرية الرسل والأنبياء وتوضح ظواهر البشرية وأعراضها المادية بينهم وبين سائر البشر .

قال تعالى : ﴿**إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**﴾[1] ولفظ الإنسان تلتقى مع الأنس وهى دلالة لغوية أصلية للمادة على نقيض التوحش ، والإنسان ليس مناط إنسانيته فى انتمائه إلى فصيلة الإنسان كما أنه ليس مجرد بشر تسيطر عليه النزوات المادية ، وإنما الإنسان تميز بقدرة الله خالقه ومبدعه إلى الدرجات العلى التى أهلته لخلافة الأرض ، وما تحمل من تبعات التكليف والأمانة العظمى .

فالإنسان هو المخلوق المميز المنفرد لأنه المختص بالعلم والبيان والعقل ، ومن تدبَّر آيات القرآن الكريم وتحقق ودقق فيما خص القرآن العظيم هذا الإنسان من آيات كثيرة يجد فيها التكريم والتشريف لهذا الإنسان ويدرك حقا مدى المكانة العالية التى اختص بها الله تعالى هذا المخلوق المميز المنفرد فقد ورد لفظ الإنسان فى القرآن الكريم فى مواضع عديدة وعندما نتدبر سياقها جميعا فإننا

---

(١) سورة الكهف/١١٠ .

نطمئن إلى الدلالة المميزة للإنسانية ، ويكفينا أن نتدبر ما ذكر فى القرآن الكريم عن الإنسان نشأته وتطوره وذلك فى سورة العلق وفيها تتجلى الملامح العامة للإنسان ، وتكرر ذكره فى السورة ثلاث مرات . المرة الأولى ينبهنا الحق إلى آية خلق الإنسان من علق ، والمرة الثانية تشير إلى اختصاص الإنسان بالعلم والمرة الثالثة تحذر الإنسان مما يتورط فيه من طغيان وفساد وهو حتى يتمادى به الغرور والكفر فيعتقد أنه استغنى عن خالقه .

قال تعالى : ﴿**اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم . كلا إن الإنسان ليطغى . أن رآه استغنى . إن إلى ربك الرجعى**﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿**يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم . الذى خلقك فسواك فعدلك . فى أى صورة ما شاء ركبك**﴾ (٢)

كما قال تعالى : ﴿**وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كان يؤوسا**﴾ (٣)

وقال تعالى : ﴿**خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين**﴾ (٤) فمكانة الإنسان فى القرآن الكريم هى أشرف مكانة له فى ميزان العقيدة والفكر فهو الكائن المكلف الذى يفكر ويعقل ويبصر ويتدبر وبما تهيأ له من وسائل وقدرات العقل فى التبصر والتميز بين الخير والشر وذلك كله من جوهر إنسانيته بها تحمل الأمانة وتبعات

---

(١) سورة العلق/١ ــ ٨ . (٢) سورة الانفطار/٦ ــ ٨ .
(٣) سورة الإسراء/٨٣ . (٤) سورة النحل/٤ .

التكاليف فى منهج الله . واستحق عليها الثواب والعقاب .

والإنسان خلق فى كبد ، يصارع نوائب الدهر وهموم الحياة . ويعانى كثيرا من الويلات والمصائب ، لكنه لديه القدرة ويملك الطاقات التى بها يتخطى الصعاب ويقتحم العقبات لتحقيق وجوده الإنسانى وأداء مسئوليته الاجتماعية .

قال تعالى : ﴿**يا أيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه**﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿**ألم نجعل له عينين . ولسانا وشفتين . وهديناه النجدين . فلا اقتحم العقبة . وما أدراك ما العقبة**﴾ (٢)

وأهم شىء فى الإنسان حقيقة صفاته الأساسية التى لا يمكن تعليلها إلا بأنها قبس من أمر الله وهى العلم والإرادة والتعبير والقدرة إن علم الإنسان وبيانه يدلان مباشرة على الله .

قال تعالى : ﴿**الرحمن . علم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان**﴾ (٣)

إن كلمة إنسان تطلق على المذكر والمؤنث والجمع اناس وأما الناس/فاسم الجمع وأصل كلمة إنسان « انسيان » بالياء بدليل تصغيره « انيسان » وكلمة إنسان مشتقة من « انس » والهمزة أصلية فى المؤانسة والألفة وإنسان فى نسى من النسيان لأن الله عهد إليه فنسى والهمزة على ذلك فى أوله زائدة .

---

(١) سورة الانشقاق/٦ . (٢) سورة البلد/٨ ـ ١٢ .

(٣) سورة الرحمن/١ ـ ٤ .

الفصل الثانى

« خلق آدم »

خلق الله آدم أبو البشرية بيديه ، وكان التكريم الأول لهذا الإنسان الإعلان الإلهى العظيم للملائكة انه خالق بشرا من طين ، إنه تكريم عظيم حقا من الخالق لبنى الإنسان . لا سيما وقد اقترن هذا الإعلان بأمر الملائكة أن تسجد لهذا البشر.

قال تعالى : **﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾**(١) وقال تعالى : **﴿إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من طين . فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾**(٢)

وقال تعالى : **﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾**(٣) إنه تكريم عظيم لهذا الإنسان من خالقه ومصوره ومبدعه بأن جعله خليفة فى الأرض وتكريم عظيم أن تسجد الملائكة لهذا البشر ، وأعظم من كل هذا ما اختص به هذا المخلوق الذى نفخ فيه من روحه وفى هذا إشارة إلى طهارة أصله وسمو معدنه ونقاء

---

(١) سورة الحجر/٢٨ ـ ٢٩ . (٢) سورة ص/٧٠ ـ ٧١ .
(٣) سورة البقرة/٣٠ .

فطرته ، وتكريم عظيم لهذا الإنسان حين خلقه الله بيديه فأى تشريف هذا وأى تكريم ، إنه أعظم تشريف وتكريم ناله مخلوق من خالقه العظيم .

قال تعالى : ﴿**فإذا سويته ونفخت فيه من روحى**﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿**قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى استكبرت أم كنت من العالين**﴾ (٢)

وخلق الإنسان هو غيب عنا فلم يشهد خلق الإنسان أحد منا وإنه علم غيبى اختص به الله سبحانه وتعالى ذاته الكريمة لا يعرف أحد عنه شيئا .

قال تعالى : ﴿**ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وماكنت متخذ المضلين عضدا**﴾ (٣)

ومن هنا فإن الأمر محسوم مادام الخلق غيبا فلابد أن نأخذ العلم من الخالق سبحانه وتعالى فى خلق آدم عليه السلام . فكلام الله المصدر الوحيد لنا لمعرفة هذا الأمر ، وكلام البشر فى خلق الإنسان مرفوض لا يستحق الخوض فيه أو مناقشته أو الالتفات إليه لأنه كلام من لم يخلق .

ولابد أن نشير هنا إلى بعض العناصر الأساسية لخلق الإنسان .

أولا : من تمام عدل الله سبحانه وتعالى وقدراته أن خلق الله الأرض للإنسان يستطيع الحياة عليها ، ومادام سبحانه وتعالى هو الذى استدعى الإنسان للوجود فكان لابد أن يوفر

---

(١) سورة الحجر/٢٩ . (٢) سورة ص/٧٥ .
(٣) سورة الكهف/٥١ .

له مقومات حياته الأساسية ومن هذا المنطلق خلق الله الكون بتمام قدرته وقبل أن يخلق الإنسان خلق الكواكب وخلق الأرض والماء والهواء والنباتات والحيوانات كل هذا خلقه الله ليكون مسخرا لخدمة الإنسان خليفة الله فى الأرض ، فخلق الله أجناس الوجود تخدم بعضها البعض وكلها تخدم الإنسان وقد تم هذا الخلق بكمال قدرات الله عز وجل وهكذا شاء عدل الله أن يعطى الإنسان كل مقومات حياته قبل أن يخلق ليمارس مهمته فى الأرض .

ثانيا : ومن تمام عدل الله وحكمته البالغة أن أعد الإنسان اعدادا تاما وقبل أن ينزله إلى الأرض فكانت التجربة العملية التى مر بها آدم حين عصى أمر ربه واستمع إلى وسوسة الشيطان فأغواه وأكل من تلك الشجرة المحرمة التى نهاه الخالق عن الاقتراب منها . فكانت هذه التجربة فى وضوحها كافية لترى الإنسان ما هو منهج الحياة وماذا سيلاقى وكيف يواجه ما سيلاقيه إنه حقا تكريم عظيم لهذا الإنسان بأن حباه بكل هذه النعم وأعده تمام الاعداد ليكون خليفة الله فى الأرض ، والتى هى خلافة تنظيم وتدبير وخلافة زراعة وعمران ، عدل وإحسان ورحمة ، فكان خلق آدم وذريته من بعده ليعمر الأرض خيرا وليظل الإنسان على صلة دائمة بالله عبادة واستغفارا وتوبة ، والإنسان هو الكائن الوحيد الذى وهبه الله طاقات عقلية وعملية للاستفادة من كنوز الأرض لأنها مسخرة له .

وخلق آدم عليه السلام آية إعجاز وطلاقة قدرة فيها تتجلى عظمة خالقه ومصوره . وفى خلق آدم دروس وعبر وحكم وفيه نرى تكريم وتشريف لآدم وذريته فى أشياء كثيرة وهبها الله لآدم وميزه عن بقية مخلوقاته .

١ ـ نرى تكريم الحق لآدم حين أمر الملائكة بالسجود له .

٢ ـ وتكريم حين خلقه جل جلاله بيديه .

٣ ـ وكرمه بتسخير الأرض وما فيها وحولها له بالقوى الكونية مسخرة لتكون ملائمة لنمو الحياة الإنسانية .

٤ ـ وكرمه بما أودع الله فيه من استعدادات عقلية وعملية لاستغلال هذه المسخرات لخير الحياة الدنيا .

٥ ـ وكرمه حين علمه الأسماء كلها وبهذه الخاصة امتاز عن الملائكة الطاهرين وقد أجمل الله ماهية عنايته بالإنسان ونعمه عليه فى مواضع كثيرة فى القرآن الكريم .

قال تعالى : ﴿**هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا**﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿**ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة**﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿**وسخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض جميعا منه**﴾ (٣)

وقال تعالى : ﴿**ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**﴾ (٤)

---

(١) سورة البقرة/٢٩ .
(٢) سورة لقمان/٢٠ .
(٣) سورة الجاثية/١٣ .
(٤) سورة الإسراء/٧٠ .

وفى هذا الاجمال السريع يتبين لنا .

١ ـ أول مظهر من مظاهر نعمة الله على الإنسان ، خلقته على ما هو عليه من معان ظاهرة وباطنة .

٢ ـ وثانى هذه المظاهر أن الأرض بما فيها والسموات وما فيها مسخرات للإنسان فلم ينعم الله على مخلوق من مخلوقاته كما أنعم على الإنسان من حيث ما أعطى من معطيات خلقية ظاهرة وباطنة وكفى بالعقل للإنسان نعمة .

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تشير إلى النعم الكونية التى أنعم الله بها على الإنسان ، حقا إن هذا الإنسان الصغير هو أكمل مخلوقات هذا الكون ، وكل ما فى هذا الكون سماواته وأرضه وحيواناته ونباتاته كلها مسخرة للإنسان لا يشذ عن ذلك ذرة واحدة .

إن المتفكر فى خلق هذا الكون والناظر فى إرجائه الفسيحة التى لا يعلم مداها إلا خالقها عز وجل ، يقف حائرا مندهشا أمام عظمة من خلق هذا الكون وما فى خلق هذا الكون من دقة وتنسيق بديع وكمال صنعة وطلاقة قدرة وآيات العظمة فى خلق هذا الكون تخرس ألسنة الكفر والجحود والطغيان التى تنكر على الله أن يكون هو الخالق ، وألسنة الكفر تتمادى فى الغى والجحود وتدعى أن هذا الكون وجد بقانون الصدفة ، ونحن نخاطب عقول الإلحاد التى عميت عن نور الحق الساطع فى كل آيات خلقه ونقول لهم يا من عميت أبصاركم وغفلت قلوبكم عن النظر فى آيات الخلق فى السموات والأرض وأنفسكم هل يعقل أن هذا الكون بعظمته

وتمام صنعه أن يكون قد وجد من الصدفة البحتة ، هل وجدتم يوما سيارة وجدت وصنعت نفسها بنفسها ، وهل رأيتم اختراعا واحدا بسيطا قد أوجد نفسه ونرد على من يحاول ويقول إن السماء والأرض وجدتا بالصدفة وأن الإنسان نشأ بنظرية التطور والارتقاء ، نقول لهم إنكم المضلون الذين أنبأنا وحذرنا الله من أنكم ستأتون للإضلال عن سبيل الله ومجيئكم هو تثبيت للإيمان فى قلوبنا ، انظروا أيها الجاحدون إلى آلاء الله عليكم وأنتم تنتمون لبنى الإنسان ، الذى سخر له الحق كل ما فى السموات والأرض طائعة مقهورة لخدمته وكلها تفعل له ويستوى فى ذلك الناس جميعا كافرهم ومسلمهم ، والشاكر لنعمة الله والجاحد لها . كلهم سواء فى عطاء مخلوقات الله والتى تعمل بلا تميز لانها عطاء رب العالمين إنها عطاء الربوبية للإنسان . ولقد شاء الله سبحانه وتعالى أن يمنح عطاء ربوبيته للجميع لأنه رب الجميع ، وما دام هو الرب الذى استدعى الإنسان للوجود وجاء به إلى هذه الحياة فلابد أن يكفل له بنعمه أسباب الاستمرار فى الحياة .

إن بناء الكون على القاعدة التى بناه الله عليها ثم جعله وفق الناموس الذى قدره الله له هو الذى ضمن وجود الحياة فى هذه الأرض وهيأ لها عناصر النمو والارتقاء ، والله سبحانه وتعالى بكمال علمه وتمام قدرته هو الذى أوجد الحياة الإنسانية بشكلها الذى نعهده وجعلها الحق تبارك وتعالى وفق حاجات هذا الإنسان التى يتطلبها تكوينه وفطرته فكان خلق الأرض قرارا ومهادا صالحا للحياة والنشاط . والسماء بناها وزينها ويمسك بها بعظيم قدرته .

ومن نعم الله خلق الأرض وما أودع فيها من رزق العباد جميعا . قبل أن يخلق آدم وحتى يرث الله الأرض ومن عليها . فأودع فى الأرض من النعم ما لا يعد ولا يحصى . وما لا سبيل إلى حصره . ولم تكف هذه الأرض فى يوم من الأيام عن تقديم عطائها الوفير لبنى الإنسان . وما نضب يوما ينبوع عطائها الدافق ولم ينحصر بحر خيراتها الزاخر عن عطاء خليفة الله . إنها قدرة الله عز وجل الذى أودع فى الأرض كل أنواع الرزق ومقومات العيش كى تستمر حياة الإنسان ونتوقف هنا قليلا كى نتذكر سويا بعض اللمحات الخاطفة التى تشير إلى بعض نواحى الارتباط فى تصميم هذا الكون وعلاقته بحياة الإنسان قال تعالى ﴿**قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض**﴾[1] حث الله الإنسان فى آيات كثيرة إلى النظر والبحث والملاحظة كى يهتدى إلى آياته وسننه ونواميسه فى الكون فتبين للإنسان من خلال النظر والتدبر فى آيات الله أن الله هو الحق وهو الخالق المبدع وإن ما يدعون من دونه هو الباطل .

قال تعالى : ﴿**قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق**﴾[2]

وقال تعالى : ﴿**أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها**﴾[3]

سوف نتأمل ونفكر فى آية خلق الأرض التى سخرها الله للإنسان طائعة ذلولا نعيش عليها « مهادا » وإنها خير وأتم وأوفر

---

(١) سورة يونس/١٠١ . (٢) سورة العنكبوت/٢٠ .
(٣) سورة الحج/٤٦ .

مهاد لمعيشة خليفة الله فى الأرض . والمهاد يجمع فى الشكل والسكون وهى الوضع وكذلك الوفارة واللين ، من هذا اللفظ والوصف الإلهى المعجز العظيم وهو لفظ « المهاد » جمع الحق كل ما فى الأرض من تسخير لمعيشة الإنسان عليها .

إن حجم الكرة الأرضية وبعدها عن الشمس ومقدار أشعة الشمس الباعثة للحياة وسمك القشرة الأرضية ومقدار غاز الأكسجين وثانى أكسيد الكربون فى الغلاف الجوى للأرض كلها عوامل سخرها الخالق كى تتوافق وبقاء خليفة الله على الأرض على قيد الحياة ، كل هذه النعم ألا تدل على عظمة خالقها ومنظمها .

قال تعالى : ﴿**منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى**﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿**هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور**﴾ (٢)

إن الأرض أحد الآيات التى تدل على عظمة خالقها ، والأرض التى نراها مستقرة ساكنة هى فى الحقيقة متحركة بها تجرى وتدور وبالرغم من سرعتها الهائلة فإنها ذلول لا تلقى بما عليها وذلك لأن الله تعالى جعل لها جاذبية تشد إليها ما عليها كما جعل لها ضغطا جويا يسمح بسهولة الحركة فيها وهى أرض مسخرة للإنسان فهى مصدر حياته وهى حقا الأرض الوديعة المطيعة والحلوب تأتى للإنسان بالنعم والطيبات بفضل الله تعالى فكل ما تخرجه من زرع

---

(١) سورة طه/٥٥ .

(٢) سورة الملك/١٥ .

وثمار وماء وما تحويه فى باطنها من معادن وخيرات وما يحيط بها من أوكسجين كلها نعم أودعها الله فى الأرض كى تمد الإنسان بوسائل البقاء وتهيىء له كل ما يحتاج ليعمر هذه الأرض كما أرادت المشيئة العليا ودبرت يد الله الخالقة لهذه الأرض.

والأرض اليابسة هى بيئة ثابتة لحياة الكائنات والتربة تحتوى العناصر التى تحتاجها المخلوقات الحية مثل النبات وتحول إلى أنواع مختلفة من الطعام يستقر إليها الحيوان. ويوجد كثير من المعادن قريبا من سطح الأرض مما هيأ السبيل لقيام الحضارة والمدنية الحالية وما سبقها من مدنيات منذ بدء الخليقة والأرض توفر مسكنا يقيه الحر والبرد وذلل طرقها لينتقل فيها الخلق لطلب مأربهم وجعل فيها الاستقرار والثبات.

قال تعالى: ﴿**ألم نجعل الأرض مهادا * والجبال أوتادا**﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿**وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون**﴾ (٢)

والأرض تتحرك ثلاث حركات، الحركة الأولى حول نفسها فينتج الليل والنهار والحركة الثانية حول الشمس فينتج الفصول الأربعة والحركة الثالثة تجرى مع الشمس منقادة لها فى الفضاء وملازمة لها حيث لا تدرى، الأرض كرة تلفها قشرة من صخر سمك هذه القشرة ٥٠ كيلو مترا تقريبا وحول الأرض طبقة الغلاف الجوى «الهواء» ويقدر سمك الغلاف الجوى بألف كيلو متر وهو

---

(١) سورة النبأ/٦ - ٧.

(٢) سورة يس/٣٣.

عبارة عن خليط من الغازات لا لون ولا طعم ولا رائحة بالإضافة إلى بخار الماء . وأهم هذه الغازات النتروجين بنسبة كبيرة والأوكسجين بنسبة ٢١٪ وهو نسبة الحياة وبدونه تستحيل الحياة فوق الأرض ولو كان الاكسجين بنسبة ٥٠٪ بدلا من ٢١٪ فإن جميع المواد القابلة للاشتعال تصبح عرضة للاحتراق مع أول شرارة . ولو أن الغلاف الجوى كان أقل ارتفاعا مما هو عليه لاستطاعت بعض الشهب التى تحترق بالملايين يوميا فى الفضاء الخارجي أن تصل إلى الأرض وتدمر الحياة وتشعل النيران . إنها العناية الإلهية التى تمنع ذلك من الحدوث والدقة والإتقان وكمال نظام النواميس الكونية التى تدل على أن وراء كل ذلك يد الله الخالق المدبر .

ولو أن قشرة الأرض زاد سمكها بضعة أقدام لامتص ثانى أكسيد الكربون ووجد بذلك العدم . ولو اقتربت الشمس قليلا من الأرض وأعطت زيادة فى الإشعاع والحرارة لأصبح وجه الأرض رمادا ، ولو ابتعدت قليلا لتجمد كل شىء على البسيطة .

ولولا دوران الأرض حول نفسها لفرغت البحار والمحيطات من مائها ولو استقام محور الأرض ودارت فى مدارها حول الشمس فى دائرة مركزها الشمس إذن لاختفت الفصول الأربعة .

ولو أن النهار أطول مما عليه الآن لأحرقت الشمس جميع الكائنات ولو كان الليل أطول مما عليه لتجمد كل شىء . ولولا المطر لأقفرت الأرض وصارت صحراء جرداء لا تقوم حياة عليها ولولا التبخر من مياه المحيطات والبحار وتكون المزن الذى تحمله الرياح متنقلة من مكان إلى آخر لما وجدت الحياة والملح فى مياه

المحيطات يحميها من التعفن .

وسبحان من جعل محور الأرض مائلا بمقدار ٢٣ درجة لأن اعتدال محور الأرض يعنى نزول قطرات المياه المتبخرة فى مكانين محدودين فقط هما الشمال والجنوب ولولا دوران الأرض حول محورها لكان معنى ذلك أن الأرض تدير وجها واحدا نحو الشمس ومعناه نهار دائم على ذلك الوجه ، ليل سرمدى على الوجه الآخر .

ثم أليست عناصر هذا الكون حديده ونحاسه وأوكسجينه وأزوته وهيدروجينه وذهبه كلها مسخرة للإنسان والنباتات قديمها وحديثها ليستفيد منها الإنسان مباشرة وغير مباشرة فهذه ثمارها لغذائه وساقها لمنزله وناره وزهرها للنحل الذى يخرج منه العسل وغذاء وشفاء للناس وأوراقها غذاء لحيواناته التى يأكل لحمها ويشرب لبنها ويستعمل صوفها لكسائه .

وكل الأحياء ما علمنا منها وما لم نعلم أليست كلها للإنسان يستفيد منها .

وأما آية الماء الكبرى فهذا موضوع كبير نقطف عنه لمحات بسيطة ، والآية الكريمة تجمل كل ما فى الماء من فوائد ونعم للإنسان .

قال تعالى : ﴿**وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون**﴾ (١)

وهل تقوم حياة بدون ماء هل من بشر ينكر ذلك هل من جاحد لنعم الله أن يقول غير ذلك . فالله أوجد فى هذا الماء كل شىء

---

(١) سورة الأنبياء/٣٠ .

حى أليس وجود الماء آية عظمى تدل على عظمة وقدرة خالق الماء وموجده بهذا الشكل فلولا الماء لما وجدت الحياة على وجه الأرض ويكفينا بذلك عن الماء نعمه . قال تعالى : **﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين﴾**[1] والأرض جعلها مستقر ومستودع تستقر عليها جميع مخلوقات الله من حيوان وإنسان ونبات وجعلها مسكن للمخلوقات يكنه فى الحر والبرد ومدفن يدفن فيه الأقذار والجيف فلا تؤذى رائحتها الأحياء .

قال تعالى : **﴿ألم نجعل الأرض كفاتا . أحياء وأمواتا﴾**[2]

وقال تعالى : **﴿والأرض فرشناها فنعم الماهدون﴾**[3]

وقال تعالى : **﴿الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين﴾**[4]

وفى الشمس للإنسان جذبها وحرارتها ونورها وطاقتها التى تبعثها أعظم النعم على الإنسان فمن الشمس يتعاقب الليل والنهار وفى الشمس تنبعث طاقة الحرارة فتدب الحياة وينتشر النشاط بين الأحياء وفى غياب الشمس يسدل الليل وتتخشع الأحياء وتخلد للراحة والسكينة فخلق الله الليل لباسا والنهار معاشا يكد فيه الإنسان ويعمل لعمارة الأرض فكان ضوء الشمس فى النهار يعين الإنسان على العمل والسير فى دروب الأرض يطلب الرزق ويسعى ويجد مسترشدا بنور الشمس هاديا ومنيرا له ظلمات الأرض .

---

(١) سورة الملك/٣٠ . (٢) سورة المرسلات/٢٥ .
(٣) سورة الذاريات/٤٨ . (٤) سورة غافر/٦٤ .

وحرارة الشمس تمنح النباتات القدرة على النمو والتطور ، وتساعده على عملية التمثيل الغذائى لأن النبات يعتمد فيها كل الاعتماد على الشمس ولولا حرارة الشمس لما كان هناك مطر ، فحرارة الشمس تبخر مياه المحيطات والبحار فيرتفع البخار إلى طبقات الجو العليا حيث يبرد ويتكون سحابا بإذن الله فتسوقه الرياح بأمر الله إلى أن يسقط مطرا فيحيى به الأرض بعد موتها .

قال تعالى : **﴿ألم نجعل الأرض مهادا . والجبال أوتادا . وخلقناكم أزواجا . وجعلنا نومكم سباتا . وجعلنا الليل لباسا . وجعلنا النهار معاشا . وبنينا فوقكم سبعا شدادا . وجعلنا سراجا وهاجا . وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا . لنخرج به حبا ونباتا . وجنات ألفافا﴾** [1]

وقال تعالى : **﴿الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾** [2]

وفى الهواء نعم جمة بما فيه من أكسجين هو نسمة الحياة لكل كائن حى لولاه لهلك كل كائن حى على الأرض ، وتلك أمثلة فى الكواكب التى خبرها الإنسان وتوصل بالعلم إلى استقراء أسرارها وكشف مكنونها لا حياة عليها حيث لا ماء ولا هواء وفى الهواء العليل يصبح الجو لطيفا فينعش الأبدان وحركة الهواء تنقى عفن الأرض فلولا حركة الهواء لتعفنت المساكن وهلك الإنسان

---

(١) سورة النبأ/٦ ـ ١٦ .

(٢) سورة غافر/٦١ .

والحيوان بالوباء والعلل .

١٠ وفى آية القمر دروس كثيرة فهو أيضا من استعدادات الكون المسخرة لهذا الإنسان فجعل القمر منازل كى تعرف عدد السنين والأيام وبنى على ذلك علوم الرياضيات واستنبط منها الإنسان علم الحساب حيث يدير به جميع الأعمال اليومية .

قال تعالى : ﴿**تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا**﴾(١)

وقال تعالى : ﴿**وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر**﴾(٢)

وقال تعالى : ﴿**هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون**﴾(٣)

وقال تعالى : ﴿**يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج**﴾(٤)

وقال تعالى : ﴿**وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شىء فصلناه تفصيلا**﴾(٥)

إنها معطيات كثيرة ونعم عديدة لا يدرك عددها ولا يحصيها إلا خالقها عز وجل كل هذه النعم وهبها الحق لهذا الإنسان ، أليس

---

(١) سورة الفرقان/٦١ . (٢) سورة الأنعام/٩٧ .
(٣) سورة يونس/٥ . (٤) سورة البقرة/١٨٩ .
(٥) سورة الإسراء/١٢ .

هذا أعظم تكريم لمخلوق من خالقه فظاهرة العناية والنعمة على الإنسان من أكثر الظواهر تفصيلا فى القرآن فيها إظهار فضل الله وكرمه ومته وعطائه وبها يعرف الإنسان اما شاكرا لله العظيم أو جاحدا كافرا بهذه النعم فتقام عليه الحجة ويستحق العقاب .

قال تعالى : ﴿**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم**﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿**ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة**﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿**هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا**﴾ (٣)

وقال تعالى : ﴿**وسخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض جميعا منه**﴾ (٤)

وجلت قدرة الخالق العظيم حين خلق الإنسان وكونه على ما هو عليه فصوره فأحسن صورته وأودع فيه طاقة العلم والإرادة والحكمة والقوة والعقل ، جلت قدرة الله حين هيأ الإنسان ووهبه الاستعداد والقدرة التى بها عرف كيف يستفيد من كل ما سخر له فى هذا الكون .

أليس فى كل ما أسلفنا دليل كامل على أن هذا الكون خلق مسخرا للإنسان وأن الإنسان خلق ليكون خليفة الله فى الأرض ، أوليس فى هذا دليل على أن هناك ذاتا رتبت وخلقت الإنسان بكل ما لديه من الاستعداد لعمارة هذا الكون . وإنها نفس الذات

---

(١) سورة النحل/١٨ . (٢) سورة لقمان/٢٠ .
(٣) سورة البقرة/٢٩ . (٤) سورة الجاثية/١٣ .

القادرة الخالقة هى التى نفسها رتبت هذا الكون وسخرته لهذا المخلوق وذلك الله رب العالمين.

قال تعالى: ﴿**قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون. قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون. ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون**﴾[1]

---

(١) سورة القصص/٧١ـ ٧٣.

الفصل الثالث

قصة الخلق

خلق الإنسان كما أسلفنا هو غيب عنا ، لذا لابد لنا أن نأخذ العلم فى قصة خلق الإنسان عن الخالق سبحانه وتعالى ، فكلام الله هو المصدر الوحيد المعلم لنا فى هذا الأمر ، وما سواه إلا افتراض لا سبيل فى الخوض فيه أو حتى مناقشته ، وعرفنا من تمام عدل الله أن أعطى للإنسان كل مقومات حياته قبل أن يخلقه ليمارس مهمته فى الأرض فسخر له الكون وأعطاه تجربه عملية مر بها وكانت كافية لترى الإنسان ما هو منهج الحياة وكان الإعلان الإلهى للملائكة إنه خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون .

قال تعالى : **﴿إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من طين . فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾**(١)

وقال تعالى : **﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾**(٢)

---

(١) سورة ص/٧٠ـ ٧٣ .

(٢) سورة الحجر/٢٨ ـ ٢٩ .

هكذا أخبرنا الله سبحانه وتعالى أنه خلق الإنسان من طين ثم من صلصال وحمأ مسنون ثم نفخ فيه من روحه فإذا هو إنسان كريم وخلق سوى فى أحسن صورة وأكمل تقويم وهذه هى آخر مرحلة فى خلق آدم عليه السلام وهى التى تسمى المرحلة التكوينية .

وبعد أن نفخ الله تبارك وتعالى الروح فى آدم أمر الملائكة بالسجود له وكان ذلك السجود سجود تحية وتكريم لا سجود عبادة لأن الله سبحانه وتعالى لا يأمر أحدا بالتوجه بالعبادة إلى سواه فكان السجود فى حقيقته لله عز وجل ولم يكن لآدم . وإنما كان آدم كالقبلة بالنسبة للمصلى ، فالمصلى يتوجه إلى القبلة وصلاته وسجوده لله رب العالمين .

وكان الأمر الإلهى للملائكة بالسجود ، احتفالا بتمام تكوين آدم وفى ذلك إظهار علو شأن آدم وتكريما لبنى البشر ، وكما أسلفنا فتشريف آدم كان بأن خلقه الله بيديه ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة بالسجود له وعلمه الأسماء كلها .

قال تعالى : **﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾** (١)

وكان أول اختبار من الله سبحانه وتعالى للملائكة بأنه جاعل فى الأرض خليفة هى قبل خلق آدم وهذا وارد فى سياق الآية التالية : ـ

قال تعالى : **﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من**

---

(١) سورة البقرة/٣١ .

صلصال من حمأ مسنون . فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾ [1]

يتضح لنا أن الله سبحانه وتعالى أخبر الملائكة بخلق آدم قبل تمام الخلق ثم بعد ذلك كان الأمر الإلهى للملائكة بالسجود ساعة تمام خلق آدم وقد يكون هذا السجود لعظم المهمة التى كلف الله بها آدم فى الأرض وقد يكون لعظم التكريم الذى جعله الله لآدم فى الآخرة ، وقد يكون تفضيلا لآدم من الله على بقية المخلوقات .

قال تعالى : **﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾** [1]

الأمانة

وما هى المهمة العظمى التى كلف الله بها آدم فى الأرض إنها الأمانة العظمى تلك الأمانة التى عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان هذا المخلوق الضعيف . والأمانة فى معناها الواسع أن تودع شىء لدى أى شخص بشرط أن يكون هذا الإيداع ليس عليه دليل مادى ، مثل أن تودع مبلغا من المال عند شخص ولم تأخذ عليه ما يثبت أنك أودعت عنده هذا المبلغ إذن الأمانة دين لا يقوم عليه دليل مادى مكتوب ، هذا هو المعنى العام للأمانة ، فما هى الأمانة التى حملها الإنسان إنها منهج الله فى الأرض « حرية الاختيار » فى افعل أو لا تفعل وقد عرض الله سبحانه وتعالى هذه الأمانة على

---

(١) سورة الحجرات/٢٨ ـ ٢٩ .

السموات والأرض أى أن يأتمنها الله سبحانه وتعالى على منهجه ويعطيها الحرية فى أن تفعل ولا تفعل فإن اتبعت المنهج نالت الثواب وإن خالفت المنهج استحقت العقاب ولكن جميع المخلوقات أبت أن تحمل هذه الأمانة ، خوفا على أنفسهم منها لأنها أمانة تحتاج إلى جهد عظيم ، فاختارت جميع المخلوقات أن يكونوا مقهورين فى افعل ولا تفعل على أن يكونوا مختارين ، لكن الإنسان والجن قبلوا حمل هذه الأمانة ، ولعظم هذه المهمة التى حملها الإنسان فإن الله سبحانه وتعالى وصفه بأنه كان ظلوما جهولا ، وصفه الحق بذلك لأنه لم يدر عاقبة ما اختاره فهو بهذا الاختيار ظلم نفسه فحمل مالا يقدر الضعف البشرى فى كثير من الأحيان أن يتحمله لكن الله عز وجل وهب الإنسان القدرة على الطاعة أو عدم الطاعة وهى نفس القدرة التى تقوده حين يملأه الغرور بالقدرة نحو الطريق السريع إلى المعصية وإلى الظلم والاستبداد فى الأرض فهو حقا ظلوما لنفسه وظلوما لبنى جنسه .

والإنسان جهول فقد أخفى عنه الجزاء للمعصية فما كان منه إلا أن جهل عظم الجرم الذى ارتكبه فاستهان بالجزاء ولو كان الجزاء حاضرا ما تجرأ واحد من بنى البشر أن يرتكب معصية مهما كانت ضعيفة .

فجهلنا جعلنا نستهين بعذاب الله والإنسان جهول لأنه يعبد الدنيا بقصير نظره بعد علمه يقينا بأنه سيخرج من هذه الحياة الدنيا فمهما بلغ به العمر فالأمل يملأ نفسه أنه سيعيش أبدا ورغم علم الإنسان اليقينى أنه سيموت فهو فى غفلة من حدوث ذلك فى أية

لحظة والإنسان جهول لأن فى داخله فطرة الإيمان التى فطره الله عليها ومن حوله الكون الذى سخره له الله لخدمته ويشاهد كل يوم آيات الله العظمى فى خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والبحار والأنهار والزلازل والبراكين وكلها آيات الله التى هى أقوى من الإنسان لكنها مسخرة له ، ورغم أن الإنسان يرى عظمة الاعجاز وقدرة الخالق فى تسخير هذا الكون له بكل القوى الهائلة الموجودة فيه ويعلم يقينا أن الله هو الذى خلق هذا كله رغم هذه الآيات الكبرى والبراهين الساطعة والدلائل الأكيدة فإن الإنسان لعظم جهله يعبد حجرا أو حيوانا .

إذن فالأمانة التى عرضها الله سبحانه وتعالى على الإنسان عرضها قبل ذلك على عدد من مخلوقات لكنها رفضت أن تحملها لماذا لأنها أحست أنها لن تستطيع أن تفى بتبعات هذه الأمانة وهذه المخلوقات أحست بعجزها عن حق أداء الشكر لله على نعمه ولذلك رفضت ، وجاء الإنسان وقبل تحمل هذه الأمانة قبل أن ينال ويتمتع بالنعم ويؤدى عنها حق الشكر ، وحق العبادة لله ، فكان بذلك مختارا أى يملك حرية الطاعة .

ومنهج الله سبحانه وتعالى هو اختبار لحب الله فى النفس البشرية واغراء الشيطان هو امتحان لحب الله فى النفس ، فهو يحاول بكل قوى الشر فى نفسه وحقده الدفين لبنى الإنسان أن ينأى بهم عن حب الله ويقودهم إلى سبل الضلال ومسالك الغواية وغياهب الظلام ويذهب بهم إلى حب من دون الله ، فيخرج الإنسان من رحمة الله إلى غضب الله فيضل الإنسان فى الأرض ويشقى لأنه

يعمل بالقدرات البشرية وينسى قدرة الله ويكون بذلك قد انتصر الشيطان على إرادة الإنسان ، وأحداث الحياة كلها إما حب لله وطاعة له وإما بعد عن الله وحب من دون الله ومعصية الله .

إذن فالأمانة التى حملها الإنسان شيء عظيم قد جهل الإنسان بضعفه وقصر نظره تبعات هذه الأمانة وفرح الإنسان بما أسبغ الله عليه من نعمه الوافرة ، والتى سخرها له ونسى أنه لن يستطيع أن يفى حق هذه الأمانة ، فلن يؤدى حقها لله حق الشكر والعبادة والطاعة ، وحين فرح الإنسان بذلك كان جهولا ظلوما ، لأنه ظلم نفسه فطلب مالا تقدر عليه نفسه أمام مغريات الكون ، فالحق كل الحق فى اتباع منهج الله والتمسك بالعروة الوثقى التى هى حبل النجاة الذى يشد الإنسان بعيدا عن مغريات الشيطان ومستنقعات فساده .

والإنسان حين يتبع منهج الله وينهى النفس عن الهوى فقد اختار بذلك تحمل تبعات الأمانة العظمى واستحق بذلك حسن الثواب .

حين نأخذ حق الغير نكون قد ظلمنا الغير وخنا الأمانة فظلم الغير هو ابتعاد عن منهج الله وفى كل الأحوال ظلم للنفس والإنسان عندما قبل الأمانة كان جهولا لأنه ظن أنه سوف يكسب الدنيا ويمتلكها ويخلد بها وصور له جهله أن الدنيا هى الأساس وصور له غروره أنه سوف يفوز بملك لا يبلى ، وتصور أنه سوف يعيش أبدا ويملك القدرة على تأخير الموت إنه حقا تفكير الجاهل الظلوم .

فالأمانة التى حملها الإنسان هى أمانة الشكر على ما وهبه الله والشكر على عطاء الله والشكر على نعمة الحياة والشكر على رزق

الله وما أسبغ عليه من النعم ظاهرة وباطنة ، وهذه الأمانة تلزم الإنسان بالحق والعدل والإحسان فى الحياة الدنيا وتلزمه بالطاعة والعبادة لله .

وهكذا فإن إرادة الاختيار التى أعطاها الخالق للإنسان هى من كمال القدرة الإلهية والمشيئة الربانية وهى تكريم لهذا الإنسان .

وحين قبل الإنسان الأمانة كلفه الحق وألزمه بنوع من الهداية عليه أن يسعى لتحقيقه بما أوتى من ملكات أهلته لنوع التكاليف ونتيجة لتحمل هذه الأمانة فرض الله عليه أن يتغلب على كثير من ميوله ورغباته وأهوائه وشهواته وأن يكيف نفسه لاتباع سبل الهداية التى فرضها له الحق والتى بها يتأهل لعمارة الأرض خليفة الله فيها .

ومن التشريف الإلهى لهذا الإنسان كما أوردنا أن وهبه نعمة العقل فحين أعطى الحق الأمانة للإنسان وقبلها كان من عظمة تشريفه له أن أودع فيه العقل الذى به تكمن إرادة الاختيار والقدرة على التمييز فمهمة العقل الاختيار بين البدائل ، أما باقى المخلوقات التى اختارت الطاعة الخالصة لله وأبت تحمل الأمانة العظمى تحكمها قوانين خاصة مختلفة تماما عن القوانين التى تحكم الإنسان وقدراته وملكاته ، فالحيوان مثلا يشارك الإنسان فى تكوينه العضوى فى كثير من الأشياء منها العقل والمعدة والرئة والأرجل والجلد والشعر لكن الإنسان تميز وتشرف بوجود العقل المدرك المفكر وتحكمه إرادة الاختيار فالحيوان لا يملك هذه الإرادة وتحكمه قوانين الغريزة فقط . فالحيوان فى غريزة الأكل له إرادة فى اختيار طعامه أو تنويع أصنافه فهذه الحيوانات أكلة اللحوم وتلك الحيوانات آكلات الأعشاب

والحيوان بهذه الغريزة المادية لا يملك القدرة على الاختيار .

وبنعمة العقل الذى ينفرد بإرادة خاصة فى اختيار الأفعال وبهذا العقل المستنير تحمل الإنسان الأمانة وتبعاتها وثقلها ، بهذه الإرادة والتى هى الاختبار الحقيقى للإنسان فى تطبيق منهج الله وما يترتب عليه من حساب وعقاب أو ثواب . وليس أدل على ذلك من رفع التكليف الإلهى حيث يتعطل العقل عن أداء مهمته فالمجنون يسقط عنه التكليف والطفل الذى لم يبلغ الحلم أو مبلغ الرجولة والنضج لا يجرى عليه القلم وهكذا كان مناط التكليف هو العقل . وكانت حكمة الله البالغة فى تحريم كل ما يعطل العقل عن مهامه وينحرف به عن طريق الهدى فحرم الخمر ومنهج الله فى الديانات جميعا كلها تحرم الخمر ومبادئ وقوانين السماء ومنها الشريعة الإسلامية الحنيفة كلها تدور حول الحفاظ على الهبة العظمى الذى به تحمل الإنسان عظم التكاليف وبه أصبح مخلوقا مميزا وهو العقل . وقمة التسامى فى الحياة الإنسانية هى فى ملكات هذا العقل ومواهبه ومواطن القوة التى أودعها الله فيه ، واختبارات هذا العقل هى التى تشقى الإنسان أو تسعده فى الحياة الدنيا والآخرة .

وهكذا فإن الإنسان يشترك مع الحيوان فى كثير من الصفات البيولوجيه لكن تكامل الإنسان يكمن فى عظمة ما أودع الله به من نعمة العقل . والإنسان مخلوق تميز بالكلام استطاع بها استخدام الرموز اللغوية ومنها استنبط الفكر والعلم فالإنسان يستخدم اللغة ليتذكر أو ليسترجع شريط الماضى ليعالج منه الأشياء الحاضرة ويزود بطاقة الخبرة والمعرفة ، فيسقط خبرته الماضية على المستقبل

وتلك قدرات العقل فى الإبداع والتخيل والتصور والتفكير والتذكر والاستنباط والتحليل والابتكار وهو المخلوق الوحيد الذى لديه القدرة الرمزية ومنها يمكنه أن يفكر فى الماضى وفى المستقبل وفى الحاضر الواقع وغير المنظور فيطلق العنان للفكر ليتخيل ويتصور وبقدرة التعلم يكتسب خبرته وخبرة الآخرين ممن يزامنون وممن سبقوه ان العقل قدرة هائلة رفعت الإنسان درجات عالية فى السمو والرقى بين سائر المخلوقات .

هكذا تميز الكائن الإنسانى عن سائر الخلائق فى هذه الأرض بالعقل فميزه الرقى العقلى والروحى خاصة ، إنسانية انفرد بها الإنسان وحده لم يشاركه فيها مخلوق من مخلوقات الله سبحانه وتعالى ، وصفة الرقى العقلى والروحى هى التى جعلت العقل البشرى ينظر تجارب الماضى ويصمم خطط المستقبل وجعلت روحه تتجاوز المدرك بالحواس والمدرك بالعقول . وقد عاصر الإنسان على مر القرون أجناس وأنواع شتى من الأحياء ولم نسمع ولم نَرَ ارتقاء نوع أو جنس من المخلوقات عقليا أو روحيا .

إن كمال التشريف والتكريم كما أسلفنا أن نفخ الله من روحه فى هذا الكائن البشرى ، واقتضت إرادة الخالق أن يكون الإنسان خليفة الله وأودع فيه الحق القدرة على الارتقاء فى المعرفة ، والارتقاء يكون فى أعظم معانيه كلما اتصل بمصدر تلك النفخة ، واستمد من هذا المصدر نور الهداية والصلاح ويهبط الإنسان إلى أعماق الانحدار السحيق فى درجات الرقى الإنسانى إذا ابتعد عن مصدر النفخة واتبع هواه وضل فى بحار التيه والنسيان والغواية

وحتى لو تضخمت علومه وزخرت بحار معرفته وتجاربه وازدهرت . والنفخة الربانية شيء عظيم لا نعرف كنهه ولا سبيل للعقل فى إدراكه والخوض فى كيفية حدوث ذلك ، لكن هذه النفخة الإلهية الكريمة اللطيفة القادرة هى التى ارتقت بالإنسان وميزته عن سائر المخلوقات ، فلولا هذه النفخة الربانية وجلال قدرتها وعظيم أثرها ماكان لهذا الإنسان الصغير الحجم المحدود القوة والمعرفة القصير الأجل ماكان له أن ينال من هذه الكرامة وجلال الشأن لولا تلك النفخة الربانية ، لكن الإنسان ينسى نفسه فى أحيان كثيرة ينسى أنه كان ضعيفا يستمد القوة لا من ذاته ولكن من اتصاله بمصدر القوة من الله ، ينسى الإنسان هذه الحقيقة وينأى عنها ويقطع كل اتصال بها فيملأ الغرور نفسه ويسيطر الطغيان والجبروت على قلبه ، ويزين له الشيطان هذا فيمده بسموم الفساد والكبر ويقوده صاغرا إلى دروب الغواية والضلال والعصيان فيمتلكه الغرور ويستحوذ على عقله ونفسه الحقد والجهل ، ثم يجره هذا الضلال المبين إلى العناد والاستكبار والتعالى ليجادل فى آيات الله ويزعم لنفسه وللناس إنه إنما يناقش لأنه لم يقتنع ويجادل لأنه غير مستيقن والله العليم بعباده السميع البصير الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور . الحق سبحانه مطلع على سريرة الإنسان الجاحد المنكر لنعم الله عليه ، ويعلم الحق أن هذا الإنسان الجاهل الضعيف أنه لو عرف حقيقة نفسه وأدرك قدراته الضئيلة أمام قدرة الخالق العظيم لما استكبر وتطاول على ما هو أكبر من حقيقته ، ولما حاول الاستحواذ وأخذ مكان ليس له ولو أيقن أنه لا يملك من المقومات ما يؤهله لأن يملأ

مكانا ولا حيزا هو أكبر منه لما تطاول واستكبر حقا .

وهكذا لو أدرك الإنسان حقيقته ودوره فى هذا الكون ولم يحاول أن يتجاوزه ولو اطمأن إلى أن دوره مقدر بحسب حقيقته فى كيان هذا الوجود لو أدرك هذا كله لاطمأن واستراح وتواضع وخشع وعاش فى أمن وأمان وسلام مع نفسه ومع الكون من حوله وجعل كل جوارحه ونفسه وروحه فى استسلام لله وطاعة خالصة لخالقه ومبدعه .

« خليفة الله فى الأرض »

قال تعالى : ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون**﴾ (١)

أخبر الله الملائكة بأنه سيجعل آدم خليفة فى الأرض ، إنه اعلام واخبار للملائكة بمهمتهم التى سيقومون بها تجاه آدم وذريته إن من بين هؤلاء الملائكة من سيكونون ﴿**كراما كاتبين**﴾ أى يكتبون كل ما سيفعله آدم وذريته فى الأرض ومنهم الملائكة

---

(١) سورة البقرة/٣٠ ـ ٣٣ .

الموكلون بنفخ الروح فى الأرحام والملائكة الموكلون بقبض الأرواح والملائكة الموكلون بالأرزاق والملائكة الذين ينزلون بالرسالات .

قال تعالى : **﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون﴾** (١)

وقال تعالى : **﴿وإن عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون﴾** (٢)

وقال تعالى : **﴿ان كل نفس لما عليها حافظ﴾** (٣)

وقال تعالى : **﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد . إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾** (٤)

استفسار الملائكة :

ثم كان الاستفسار عن الحكمه فى خلق هذا النوع وهو على قدر علمهم ذو شهوة وغضب ويفسد فى الأرض ويسفك الدماء فكيف علم الملائكة أن الإنسان سوف يفسد فى الأرض . مع علمنا قطعا أن الملائكة لا تعلم إلا ما علمها الله ولا تسبق بالقول . قال تعالى **﴿لا يسبقونه بالقول﴾** (٥) فكيف قالوا **﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾** لابد أنه كانت هناك تجربة لخلق آخر لله أعطاهم الله سبحانه وتعالى حق الاختيار فأفسدوا فى الأرض وقد يكونوا الجن وإن الملائكة قد رأت وعلمت ماكان من إفساد الجن وسفكهم الدماء لأن الجن

---

(١) سورة السجدة/١١ .
(٢) سورة الانفطار/١٠ ـ ١٢ .
(٣) سورة الطارق/٤ .
(٤) سورة ق/١٦ ـ ١٨ .
(٥) سورة الأنبياء/٢٧ .

أعطاهم الله سبحانه وتعالى حق الاختيار فى افعل ولا تفعل فكان منهم الصالحون والعاصون .

قال تعالى : **﴿قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا . يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا . وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا . وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا . وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا﴾** (١)

وقد يكون استفسار الملائكة جاء على وجه الاستفهام المحض أى هل هذا الخليفة سوف يكون على طريقة من سبق من الجن لأن الله أعلمهم أن الخليفة سيكون من ذريته من يسفك الدماء ويفسد فى الأرض فكانت مقولة الملائكة إما للتعجب من استخلاف الله من يعصيه أو التعجب من عصيان من يستخلفه الله فى أرضه ، وينبغى أن ندرك تماما أن سؤال الملائكة لم يكن اعتراضا على خلق الله أو على مشيئته وإرادته وإنما كان بغرض الاستفسار عن الحكمة والملائكة لا يعصون أمر الله ويفعلون ما يؤمرون ، وأن الله سبحانه وتعالى هو العليم بمراداته وأن الملائكة حينما ظنوا أن الله سبحانه وتعالى يريد خلقا يسبح بحمده طائعين ولم يصل إلى علمهم أن الله جل وتعالى يريد خلقا يأتونه طواعية واختيارا . وعن حب ورغبة لا عن قهر وخوف ورهبة ، والله قادر على أن يخلق ما يشاء مسخرا لعبادته وتسبيحه وعدم علم الملائكة فى مرادات الله وحكمته ومشيئته

---

(١) سورة الجن/١ ـ ٥ .

فى خلق الإنسان هو من تمام علم الله لأن الله عالم الغيب والشهادة ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة . وربما استفسار الملائكة خطر فى أنفسهم ولم يجهروا به لكن الله الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، علم قولهم وعندئذ صور لهم قدرة الإنسان بما أودع فيه من قدرات وطاقات وما وهبه من عقل وبيان .

« علم آدم الأسماء كلها »

إنها آية عظمى تنطق بعظمة الخالق ، فسبحانه مبدع كل شىء وموجد كل شىء والقادر على كل شىء وهو الحى القيوم الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وهو العزيز الحكيم ، إنها آية قدرة الله حين علم الإنسان الأسماء كلها فأنعم عليه بنعمة كبرى ولا يعلم مداها إلا الله فكان تعلم آدم الأسماء كلها هى بداية العلم للبشر به فكما علم الله آدم الأسماء فإن ذريته سلكوا نفس الدرب ونهجوا نفس المنهج لم يحيدوا قيد أنملة . فمنذ أن خلق الله آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فإن مسيرة الحياة ومنهاج الله فى خلق آدم لم يتغير ولم يتبدل ، يخلق الطفل لا يعلم شيئا ثم تبدأ دروس الحياة والعلم تلقن له شيئا فشيئا وأول دروس يستوعبها الطفل وينطق بها هى الأسماء فالطفل يبدأ النطق باسم أمه وأبيه ثم تتوالى الدروس فكل يوم يدرك اسما ويتعلم حرفا فتزداد حصيلته من الأسماء ويستنبط عقله منها مغزى وكنه وتركيب وتكوين الأشياء ، وهذا منهاج الله فى تعليم الإنسان وتزويده بالعلم والمعرفة حين يتعلم الأسماء ويتدرج فى سلم المعرفة والعلم يرتقى ويتقدم فى تحصيله للعلم

والمعرفة إلى أن يصل إلى الدرجات العلى فى مراتب العلم وفنونه إن تعلم آدم الأسماء كلها كانت من أكبر النعم التى أسبغها الله عليه فما كان للإنسان أن يرتقى ويصل إلى ما توصل إليه من كنوز المعرفة وفنون العلم لولا أن أودع الله فيه المقدرة على التعلم والنطق والبيان .

فهل بعد هذا من حديث أيها الجاحدون نعم الله عليكم لم تفكروا كيف استطعتم الارتقاء فى قدراتكم العلمية من بعد ماكنتم لا تعلمون شيئا . لقد خرجتم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ثم إذا كنتم علماء تبحثون وتحللون وتخترعون وتجوبون السماء وتخوضون البحار بإنتاج أذهانكم النيرة . أليس فى هذا دلالة كبرى على عظمة خالقكم الذى وهبكم وأودع فى عقولكم كل هذه الطاقات والإمكانيات والتى بها وصلتم إلى ما أنتم عليه .

قال تعالى : **﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾** (١)

وبعد أن علم الله آدم الأسماء كلها عرضهم على الملائكة ومن الممكن ان الله لم يعرض الأسماء على الملائكة وعرض المخلوقات التى تطلق عليها هذه الأسماء بدليل أنه قال تعالى **﴿أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾** (٢)

ثم طلب من الملائكة ذكر أسمائهم فظهر عجزهم ، وهنا اعترف الملائكة بعجزهم أمام علم الله سبحانه وتعالى واعترفوا بأنهم لم يدركوا مرادات ومشيئة الله فى خلق آدم حين قال لهم **﴿إنى جاعل**

---

(١) سورة البقرة/٣١ .

(٢) سورة البقرة/٣١ .

في الأرض خليفة﴾ .

فقالوا سبحانك أى تعاليت وتنزهت على أن نحيط بعلمك وبإرادتك ومشيئتك مقرين ومعترفين بعجزهم وضآلة علمهم وضعف قدرتهم أمام قدرة الله وعلمه التام .

قال تعالى : ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾ (١)

وكل المخلوقات التى خلقها الله بعظيم قدرته لا علم لهم إلا ما أتاحه الله لهم من العلم ، والله القادر أن يعلم من علمه وقدرته فى الكون ما يشاء لمن يشاء أى أن الله سبحانه وتعالى هو العليم فوق كل عليم والحكيم الذى لا يدرك خلقه حكمته فى كثير من الأمور .

ثم تجلت طلاقة قدرة الحق فى خلق آدم ما أنعم عليه وما وهبه من علم وأودع فيه من القدرة على تعلم الأسماء بإذن الله ، وهنا قال تعالى : ﴿يا آدم أنبئهم بأسمائهم﴾ (٢)

هكذا طلب الله سبحانه من آدم المخلوق الضعيف أن ينبىء الملائكة بأسماء تلك المخلوقات التى عجزت الملائكة عن معرفة أسمائهم . فأنبأهم آدم بأسماء هذه المخلوقات كما علمه الله خالقه ومصوره . ومن الله يستمد الإنسان كل ما علم وكل ما يعلم وبذلك ظهر فضل آدم وتبين قدره وقامت حجة الله على الملائكة وامتثلت الملائكة للأمر لما رأت من شرف الحال ورأت من جلال القدرة وسمعت من عظيم الأمر . وأدركت آية الإعجاز الكبرى من خالق عظيم قال الحق مخاطبا الملائكة :

---

(١) سورة البقرة/٣٢ .

(٢) سورة البقرة/٣٣ .

﴿ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾

وهذا دليل على أن الملائكة لم تجهر بالقول لله سبحانه وتعالى .

قال تعالى : **﴿قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾**(١)

لقد علم الملائكة أنهم لا يستطيعون الخلافة فى الأرض التى قضت إرادة الله ونفذت واختارت ذلك المخلوق الضعيف المزود بطاقة المعرفة والعلم ولديه الملكات والمواهب التى بها يستطيع أن يعرف خصائص الأشياء والانتفاع بها فامتثلوا للأمر وانقادوا لطلب الله سبحانه فى تعظيم آدم وسجدوا لآدم كما أمروا .

قال تعالى : **﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر﴾**(٢)

إن فى سياق هذه اللحظات الخالدة معانى ودروس جليلة أراد الحق أن يضعها جلية واضحة فى نفى كل مخلوق إن علم الله ومشيئته لا يدركها ولا يحيط بها شىء ولا حتى الملائكة المقربون هذه أولى المعانى الجليلة المقدسة التى يجب أن تعمر قلب كل إنسان مهما أوتى من علم وقوة . وثانيها أن لكل مخلوق من مخلوقات الله حدوده ومقامه وحيز وجوده لا يتعداه ولا يخرج من نطاقه وإن الله حين أراد أن يجعل آدم خليفة فى الأرض سخر له ما فى الكون لخدمته . حتى

---

(١) سورة البقرة/٣٣ .

(٢) سورة البقرة/٣٤ .

جسد الإنسان نفسه مسخر له فجوارحه مسخرة له فى الحياة الدنيا تنفذ له ما يريد ومقهورة بأمره لكنها شاهدة عليه يوم القيامة .

وإرادة الله ومشيئته هى التى جعلت هذا الإنسان مختارا لأن الله سبحانه وتعالى يريد خلقا مختارا يعبد الله ويطيعه باختيار ورغبة وحب وكانت إرادة الحق أن جعل آدم خليفة فى الأرض وخلافة الإنسان لله فى الأرض هى خلافة تنظيم وتدبير وخلافة عمارة الأرض وزراعتها إنها أيضا خلافة عدل ورحمة وإخاء ومساواة وبر وإحسان خلق الله الإنسان ليعمر الأرض خيرا ويظل على صلة دائمة بالله عبادة واستغفارا وتوبة وهذه الخلافة ليست لآدم عليه السلام وحده بل هى خلافة متوارثة لبنى الإنسان جيلا من بعد جيل .

قال تعالى : ﴿**هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربى قريب مجيب**﴾[1]

وهكذا تبدو آيات الله فى خلقه ساطعة مبهرة . إن نشأة الحياة دليل على الله وتعقيدات الحياة دليل على الله وتنوع الاحياء دليل على الله ومركز الإنسان فى هذا الكون بصفاته العليا دليل على الله وفى النفس البشرية أخلاقها وعجائبها دليل على الله وهذا وحده كاف ليتعرف به كل إنسان على الله فكيف إذا اجتمع معه ما ذكرنا سابقا وما سنذكر لاحقا فهل يبقى بعد ذلك كله كافر فى حجة أو سبيل إلا حجة الجهل وسبيل الهوى .

« معصية إبليس »

إن المعركة الخالدة بين البشر والشيطان بدأت منذ خلق الله آدم

---

(١) سورة هود/٦١ .

عليه السلام ولابد لنا من وقفة عندها نستخلص الدروس ونتدبر المعانى ومنذ تلك اللحظة التى خلق فيها آدم لم تنطفىء نار ولم يهدأ وطيس هذه المعركة . وقد أقام الإسلام للإنسان فى هذه المعركة الدائمة بينه وبين الشيطان طوال حياته على هذه الأرض ورصد له فى الغنيمة والثواب والنعيم إذا انتصر فى هذه المعركة ما لا يخطر على بال بشر فقد أعد له الجنة وحين يحول الإنسان طاقة القتال التى حصنه الله بها وكرسها لهذه المعركة الدائبة والتى إذا فاز بها جعلت منه الإنسان المؤهل لما خلق له وكان جزاؤه الخير والنعيم والفردوس الموعود وتجعل منه خليفة الله فى الأرض كما أعده الله له كى يعمر الأرض بالخير والنماء .

وأكبر هدف للإنسان على الأرض هو أن ينتصر على عدوه حينئذ يدمر الخبث والرجس ويثبت فى الأرض قواعد الخير والطهر إنها معركة لابد لنا من تدبر معانيها واستخلاص الدروس المفيدة منها والتأهب والاستعداد التام لخوضها فى كل لحظة فعدونا لا يكل ولا يمل وشغله الشاغل الوحيد هو هذه المعركة ليس له من هدف سوى غواية الإنسان والزج به فى نار جهنم فهل لنا بنى الإنسان من موعظة وعبرة من ذلك ؟ هل تزودنا دائما بزاد التقوى وهو أقوى الدروع وأحصنها فى هذه المعركة الخالدة ؟ هل اعتصمنا بحبل الله الذى يمدنا بالعون والقوة فى خوض هذه المعركة ؟ هل عمرت قلوبنا بنور الايمان وحب الله واتباع أوامره واجتناب نواهيه التى هى سلاح المؤمن فى خوضه غمار معركة الخير والشر الخالدة ؟ كل ما أسلفنا هى علامات بارزة أحرى بالإنسان أن يتوج بها ناصيته دائما كى لا يجد

الشيطان سبيلا للنفاذ منه ، والوصول إلى الإنسان ودستورنا الخالد الكتاب المبين هو الحصن الحصين للإنسان من شر الشيطان وخبثه بدأت معركة الخير والشر الخالدة بين الإنسان والشيطان حين كان الإعلان الإلهى بخلق آدم عليه السلام .

قال تعالى : **﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون . إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين﴾**(١)

إن فى رفض إبليس للأمر الإلهى تمثلت كل معانى الشر والحقد والضغينة وفى هذا الرفض أشعل إبليس شرارة المعركة الخالدة ضد آدم والتى لن تنطفىء نارها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

إن معصية إبليس تثير جدلا كبيرا سوف نحاول أن نستوضح ما أعاننا الله على فهمه ونستنير برأى العلماء والأجلاء بما اجتهدوا وحللوا والجدل كثير وكثير حول هذه المعصية ، لكن مشيئة الخالق جل جلاله شاءت أن تكون هذه اللحظة ، وفى هذه اللحظة تجلت قدرة الخالق العظيم فلولا إرادته ومشيئته التى اقتضت كل هذا ما وجد شىء فى هذا الكون . ولن نلمس القشور والملابسات التى دارت حول معصية إبليس إنما سوف نخوض فى جوهر هذه المعصية .

فالحقيقة كما وردت فى القرآن العظيم لدن الخالق الذى خلق آدم

---

(١) سورة الحجر/٢٨ ـ ٣١ .

وأخبرنا بما حدث فى هذه اللحظة . هى أن إبليس عصى ربه فلم يمتثل لأمر ربه فى السجود لآدم فكان هذا فعل منكر وعصيان رهيب من مخلوق دنىء مثل إبليس لعنه الله . ولم يقف هذا المخلوق الحقير عند عصيان الأمر إنما استكبر وتعالى فقال أنا خير من آدم خلقتنى من نار وخلقت آدم من طين . إنه منطق الاستعلاء والاستكبار وكأن الخالق سبحانه وتعالى محتاج لأحد من مخلوقاته ليقول له من الأفضل ، هذا هو جوهر القضية . إنه عصيان وخروج عن الطاعة والاستكبار والغرور والجدل يدور حول أمر السجود الصادر من الحق للملائكة فبعض المحللين يثير نقاشا سطحيا فى أمر هذا السجود فيقول إن الأمر صدر للملائكة ولم يصدر لأبليس الذى كان من الجن . فكيف يحاسبه الله على عدم السجود وهل كان إبليس يقف مع الملائكة وقت السجود وهو ليس منهم وهل كان إبليس فى الجنة وكيف يدخلها إذا كانت الغواية من الله لإبليس هى التى سببت المعصية ؟ ..

قال تعالى : ﴿**فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم**﴾ (١)

فكيف يكون الحساب على أن الله هو الذى أغوى ولماذا غفر الله لآدم ولم يغفر لإبليس إلى آخر ما يدور من نقاش سطحى لم يدخل صلب الأمر ولم يستجلِ الجوانب الحقيقية وراء هذا الأمر؟ لم يتعمق فى جوهر الأمر ليرى آيات العظمة والقدرة فى هذه اللحظات الخالدة .

---

(١) سورة الأعراف/١٦ .

إذاً كان الإعلان الإلهى للملائكة أنى خالق بشرا من طين فإذا سويته وجعلته على الهيئة التى أردت أن يكون عليها ثم وهبته الحياة بتلك النفخة الإلهية العظمى فالتقت الروح والجسد أيها الملائكة اسجدوا لهذا المخلوق . فما كان من الملائكة أجمعين إلا أن سجدوا طاعة وامتثالا لأمر الخالق العظيم . إلا إبليس أبى واستكبر عن السجود ، إن الخطاب للملائكة وإبليس من الجن ولم يوجه الأمر له لكن المتمعن فى الأمر يدرك إن الأمر الإلهى يصدر للأعلى ويكون الأدنى مطالبا بأن ينفذ هذا الأمر بالتبعية حتى لو لم يذكر بالاسم فالأمر صدر للملائكة الأعلى مرتبة عند الله من الجن فكان بالتبعية أن ينفذ الجن وهم أدنى من مرتبة الملائكة هذا الأمر فالقول أن الأمر الإلهى لم يصدر لإبليس أمر مردود تماما والأمر واضح وصريح لا يحتاج إلى نقاش ولا جدال فإبليس يشمله الأمر وذكر ذلك صريحا فى سياق الآية الكريمة حين ذكر الحق ذلك .

قال تعالى : ﴿**إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين**﴾[1]

وقال تعالى : ﴿**قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين**﴾[2]

وقال تعالى : ﴿**ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك**﴾[3]

وقال تعالى : ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه**﴾[4]

إن لحظة عصيان إبليس لربه هى بداية بذرة الشر فى هذا الكون

---

(١) سورة الحجر/٣١ . (٢) سورة الحجر/٣٢ .
(٣) سورة الأعراف/١٢ . (٤) سورة الكهف/٥٠ .

منذ لحظة خلق آدم وفى هذه اللحظة اشتعلت شرارة المعركة الخالدة بين الشر والخير وهنا نقول لماذا لم يسجد إبليس وعصى الأمر الإلهى وأبى السجود والطاعة إن فى هذا العصيان والاستكبار معانى كثيرة وهى قدرة الحق فى الخلق كما خلق الملائكة لا يملكون حق الاختيار فى الرفض أو الطاعة ، طلاقة قدرة الحق خلقت إبليس أولا ولديه القدرة على الطاعة والرفض فالجن مخلوق لا يملك حرية الاختيار .

إن فى هذا العصيان الرهيب الذى أتى به إبليس وأبى أن يسجد وينفذ الأمر الإلهى وما نتج عنه من طرد إبليس من رحمة الله فيها معانى عظيمة تجلى الحقيقة ، إن موجبات رحمة الله هى طاعته واتباع أوامره واجتناب نواهيه وهكذا يتضح لنا أن حرية الاختيار التى وهبها لإبليس هى التى أعطته القدرة على اختيار العصيان ورفض أمر ربه وبذلك سلك طريق الغواية والضلال فاستحق اللعنة من الله إلى يوم الدين . إن فسوق إبليس عن أمر ربه شىء عظيم فى جوهره معانى كثيرة فهو لحظة امتحان لإبليس ودرس مستفاد لآدم رآه بأم عينه فكان له زاد تقوى وحب الله والخوف منه ، وحكمة بالغة فى الطاعة والامتثال ودعوة النفس البشرية للتواضع أمام عزة الله وعظمته . وفيها تنبيه وتحذير لآدم من عقابه على الغرور والاستكبار والاستعلاء ، ثم كانت مواعظ وبرهان يقين لآدم أن له عدو مبين سوف يقعد له ولذريته من بعده إلى يوم القيامة .

قال تعالى : ﴿**إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين**﴾[1]

---

(١) سورة ص/٧٤ .

وقال تعالى : ﴿**إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين**﴾ [(١)]
وقال تعالى : ﴿**إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه**﴾ [(٢)]
وقال تعالى : ﴿**إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين**﴾ [(٣)].

لقد كان رفض إبليس للسجود لآدم رفض استكبار وتعالٍ وتفاضل فالآيات توضح ذلك وتبين أبعاد المعصية التى تمت ، فالرفض الأول كان فى قبول الأمر الإلهى فرفض تنفيذ الأمر وهذا هو جوهر المعصية التى أتى بها إبليس . كيف استطاع إبليس رفض الأمر الإلهى . حين خلق الله إبليس أعطاه حرية الاختيار ولولا هذا العطاء والحرية فى الطاعة والرفض لما استطاع إبليس أن يرفض السجود حين أمره الله . بينما المخلوقات التى لا تملك حق الاختيار مثل الملائكة وتفعل ما تؤمر امتثلت لأمر السجود . لكن إبليس أبى السجود لأن الله أعطاه إرادة الاختيار ومنحه القدرة على الاختيار بين الخير والشر . لكن إبليس أساء لتلك الإرادة فاختار طريق الضلال والكفر وهذه الإرادة جعلته يعصى أمر ربه ، ومعصية إبليس لم تكن فقط فى رفض الأمر الإلهى لكنه عصى أمر ربه واستكبر عن تنفيذ أمر الله .. حيث ملأه الكبر والغرور فلم يكن عصيانه للسجود عصيان سهو أو غفلة لكنه كان عصيان استكبار على أمر الخالق .. وبذلك حق عليه القول أنه من الكافرين وهكذا كانت المعصية الثانية لإبليس وهى الاستكبار على الأمر الإلهى وفى ذلك يكمن معنى الكفر والذى هو إهدار لمعنى الألوهية فى النفس ،

---

(١) سورة البقرة/٣٤ . (٢) سورة الكهف/٥٠ .
(٣) سورة الحجر/٣١ .

والنفس حين تؤمن بالله ربا خالقا وجب عليها الطاعة والانقياد وتسليم زمام أمرها لخالقها ومبدعها . والإيمان هو خشوع لله . والإيمان اعتراف النفس البشرية بقزميتها وضآلتها أمام قدرة الله والخشوع لله هو مظهر وعلامة الإيمان . وقد تضعف النفس البشرية فتنأى عن اتباع منهج الله ولكن ذلك لا يعنى أنها استكبرت وعلت على الله . بل هو هوان النفس وضعفها فى تحمل منهج السماء .

فالكفر الحقيق هو الاستكبار والاستعلاء وجعل الغرور والكبر يطغى على النفس ويهيمن عليها فتعتقد أنها مرتبة عليها فوق مرتبة الألوهية والعياذ بالله ومن هنا كان وصف الحق لإبليس حين استكبر إنه من الكافرين .

وعندما دخل الكبر نفس إبليس لم ينطق به وملأ الكفر نفسه الحاقدة ولم يجهر به لكن الله سبحانه وتعالى علم بما فى نفس إبليس وحتى لو لم يجهر به فالحق علمه يحيط بكل شيء فى الكون ويعلم ما تخفى الصدور ويعلم كل هاجسة وكل خاطرة تلوح فى نفوس عباده ومخلوقاته ، وتمام عدل الله جعل احداث الدنيا اختبارا عمليا للإيمان ومحكما لما فى الصدور . من السهل على النفس البشرية أن تقول نعم لن افعل كذا .. لكن هذا ليس اختبارا حقيقيا للإيمان وأراد الحق أن يكون إبليس شاهدا على نفسه بالكفر ، حتى لا يأتى يوم القيامة فينكر أو يلتمس الأعذار فيما أخفاه فى نفسه من الكفر . فنفس الكافر هى شاهدة عليه يوم القيامة . حتى أجسادهم وجوارحهم سوف تكون شاهدة أيضا عليهم لذلك أراد الله أن يكون إبليس شاهدا على نفسه .

قال تعالى : ﴿**يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين**﴾[1]

وقال تعالى : ﴿**ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك**﴾[2]

واستفهام الحق سبحانه وتعالى لا يعنى عدم علم الله بما صدر من إبليس فى الاستكبار فعلم الله محيط بكل شىء وعلم الحق علم أزلى حتى قبل أن يخلق إبليس وحين اقتضت إرادة الله أن يعطيه حرية الاختيار يعلم الحق أنه سوف يختار الاستكبار ويكفر . فعلم الله محيط بما سوف يصدر من إبليس من قبل أن يخلقه ويعلم لماذا لم ينفذ إبليس أمر السجود ورغم أن إبليس لم ينطق به بعد لكن إرادة الله وتمام عدله شاءت أن يكون إبليس شهيدا على نفسه يوم القيامة وفعلا نطق إبليس بما فى نفسه من كفر واستكبار . وأفصح عن ما يملأ نفسه من غرور وبذلك شهد على نفسه بالكفر وأقر بمعصيته وطغيانه .

قال تعالى : ﴿**لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون**﴾[3]

وقال تعالى : ﴿**أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين**﴾[4]

وقال تعالى : ﴿**أأسجد لمن خلقت طينا**﴾[5]

هكذا شهد إبليس بالكفر ونطق بلغة الكبر والاستعلاء . الذى أحاط به علم الله من قبل أن ينطق به إبليس ونفذت إرادة الله وكانت عدالة الله أن يشهد إبليس على نفسه بالكفر وهكذا رفض إبليس الأمر الإلهى فعصى ربه ثم استكبر وتعالى ولم يكن تعاليه على

---

(١) سورة الحجر/٣٢ . (٢) سورة الأعراف/١٢ .
(٣) سورة الحجر/٣٣ . (٤) سورة ص/٧٩ . (٥) سورة الإسراء/٦١ .

آدم فحسب بل تعالى على أمر الله له بالسجود . فكان ذلك سببا فى طرده من رحمة الله .

ورغم هذا الاستعلاء لكن إبليس لم يستطع أن ينسى فى هذه اللحظة بأن الله هو خالقه وهو خالق آدم ، ولم يقوى أن ينكر هذه الحقيقة واعترف إبليس بأن الله هو خالقه وهو اعتراف منه أن من خلقه هو أعلم منه والله أخبر بخلقه . فإذا كان الله سبحانه وتعالى هو خالق آدم وخالق إبليس وهو الخبير والعليم بمن خلق فهل يتعالى المخلوق على خالقه ويقول امامه حين أراد الله أن يكرم أحد مخلوقاته أنه خير من هذا المخلوق . قالها إبليس متعاليا ومستكبرا على آدم .

قال تعالى : ﴿**أنا خير منه**﴾ (١)

وما هو عنصر المفاضلة والاستعلاء فى مفهوم إبليس . أن آدم خلق من طين وإبليس خلق من النار . هيأ له جهله فى أن يجعل عنصر التفاضل هو التمييز فى مادة الخلق . ونسى أو بالأحرى جهل هذا . من يملك هذا الحق غير الله سبحانه وتعالى الخالق والعالم بمن خلق فى أن يقول من هو الأفضل . هكذا نطق إبليس بالكفر وغرر به جهله فاعتقد أنه يعلم ما لا يعلم . وبذلك استحق إبليس لعنة الله لما ارتكب من معاصى كبيرة واستوجب الطرد من رحمة الله والعذاب فى نار جهنم .

قال تعالى : ﴿**فاخرج منها فإنك رجيم . وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين**﴾ (٢)

---

(١) سورة ص/٧٩ .
(٢) سورة الحجر/٣٤ ـ ٣٥ .

وقال تعالى : ﴿**فاخرج منها فإنك رجيم . وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين**﴾[1]

وقال تعالى : ﴿**فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين**﴾[2]

إن هذا درس عظيم يجب أن نتذكره فى كل لحظة عصيان أو غفلة عن منهج الله إن جزاء من يعصى الله سبحانه وتعالى الطرد من رحمة الله ، ومن باء بغضب من الله فجزاؤه جهنم وبئس المصير . ومن خرج من رحمة الله فمثواه نار الله الموقدة التى وقودها إبليس وأتباعه وأنصاره ومن اقتدى به وسار على خطاه فى الضلالة والفساد . فكان طرد إبليس من رحمة الله هو الجزاء الأوفى والعقاب المستحق وكل كافر عاصى عن منهج الله سينال المصير الذى آل إليه إبليس ، حين حقت عليه اللعنة من الله إلى يوم الدين وجعله الله من المرجومين المدحورين .

لنتمعن فى لحظة الطرد هذه ونسأل أين كبرياء إبليس حين طرده الحق من رحمته . ألم يكن من لحظة واحدة مستكبرا على السجود وعصى أمر ربه إلا أن ضعفه وحقارته أمام عظمة وقدرة الله سبحانه وتعالى جعلت منه لا حول ولا قوة ولو كان يملك القدرة لرفض الخروج كما رفض الأمر وهنا لابد لنا من أن نقف قليلا فى أن الأمر حين صدر من الله وتلقته المخلوقات ومنهم الجن الذى يملك إرادة الاختيار فى أن يسجد أولا يسجد اختار بجهله وكبريائه عدم

---

(١) سورة ص/٧٧ ـ ٧٨ .

(٢) سورة الأعراف/١٣ .

السجود وعصى أمر ربه وحق عليه العقاب فطرده الله من رحمته لابد أن نؤكد حقيقة قد تخفى على البعض إن مشيئة الله وإرادته منذ الأزل وقبل أن يخلق إبليس وآدم هى التى أعطت إبليس الحق فى حرية الاختيار .

ولكن الأمر يختلف حين يصدر أمر الله لتنفيذ مشيئته فلا خيار لمخلوق أمام إرادة ومشيئة الله فإرادة الحق أمرت بطرد إبليس من رحمته هنا لا خيار لإبليس فى تنفيذ هذه الإرادة الإلهية الآمره . وانتفى عن ابليس حق الاختيار فى الطاعة أو الرفض . فمشيئة الله أمرت طرد إبليس من رحمته فلا مراد لمشيئة الله ولا يملك مخلوق رفض هذه المشيئة القادرة القاهرة فوق العباد .

ونتساءل هنا لماذا لم يلق الله سبحانه وتعالى بإبليس فى النار فى هذه اللحظة التى أعلن كفره وعصى أمر ربه . نقول إن إرادة الحق ومشيئته سبقت هذا الأمر فأخذ الله جل جلاله على نفسه عهدا أن يوم القيامة هو يوم الحساب لذلك لم يكن الله ليغير أمره ويلقى بإبليس فى جهنم فى تلك اللحظة بل اقتضت إرادته أن ينظره إلى يوم الدين ولأن الله لا يخلف وعده وأن الله يمهل الكافرين فى الحياة الدنيا ولا يأخذهم فى التو واللحظة ليذيقهم جزاء ما اقترفوا بل ينظرهم ويمهلهم إلى يوم الحساب .

قال تعالى : ﴿**ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى**﴾[1]

---

(١) سورة فاطر/٤٥ .

ثم نتابع أحداث تلك اللحظة العظيمة التى بها تجلت عظمة الخالق فى خلقه . ماذا كان رد إبليس المخلوق الضعيف المهين حين طرده الله من رحمته أين ذهب استكباره وتعاليه لقد تضاءل حجم إبليس وخارت أعمدة استكباره الواهية . لقد تضاءل وتلاشى أمام قدرة الله ومشيئته التى حقت على إبليس فى اللعنة والطرد والرجم ولو كان إبليس يملك فى الأمر شيئا لتصرف بذاته وقوته ، لكن إبليس وهو يعلم ضآلة نفسه أمام الحق تبارك وتعالى خر واتجه إلى الله خالقه والقاهر فوقه يطلب من الله ويتوسل له أن يبقيه إلى أن تقوم الساعة وظهرت بذلك آية عظمى أقر بها إبليس حين توسل للحق أن ينظره إلى يوم الدين . وهى أن بقاء إبليس بيد خالقه فهو لا يملك أن يبقى نفسه على قيد الحياة لحظة واحدة وإلا لما توسل إلى الخالق العظيم أن ينظره إلى يوم الدين أى يبقيه على قيد الحياة .

لقد كان توسل إبليس لله بعطاء الربوبية فالله رب العالمين وهو الذى خلق هذا الوجود كله ، والله سبحانه وتعالى أعطى ربوبيته للجميع المؤمن والكافر على حد سواء أعطاهم مقومات حياتهم بلا تمييز وكفل لهم حقوقهم بلا استثناء لكن إبليس لم يتوسل لله بعطاء الألوهية الذى أنكره حين عصى أمر الألوهية ولم يطع ولو توسل إبليس بعطاء الألوهية لما استجاب له الله .

فمن آمن بالله سبحانه وتعالى إلها كرمه فى الدنيا والآخرة . ويقر إبليس بعظمة الله وجلاله حين توسل إلى الله مسترحما إياه بعظيم قدرته وجلاله فقال « فبعزتك » أى أنت يا الله عزيز عن خلقك جميعا ولا ينقص من ملكك شيئا لو بقيت إلى يوم القيامة . فكانت

إرادة الله فى بقاء اللعين إلى يوم القيامة .

ومن تلك اللحظة التى منَّ بها الحق على إبليس فى أن يبقى إلى يوم يبعثون استعرت نار الحساب الخالدة بين هذا اللعين وبنى البشر ولم ينطفىء لهيبها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . إنها إرادة الله فى بقاء هذا الشيطان الرجيم . لأن فى ذلك سوف يكون الاختبار لآدم وذريته فمن تمسك بمنهج الله وطرد إبليس ولعنه من نفسه دخل فى رحمة الله ونال الثواب وفاز بجنات الخلد التى وعد بها المتقون ، ومن اتبع هوى الشيطان وسار على نهجه لعنه الله كما حقت على إبليس .

قال تعالى : ﴿**فإنك من المنظرين . إلى يوم الوقت المعلوم**﴾[1]

حين تلقى إبليس من ربه هذه الكلمات وأبقاه إلى يوم الدين طفحت نفس إبليس اللعين الحاقد الشرير بعوامل الشر الكامنة فى نفسه وأظهر الكره الشديد الذى تمتلأ به نفسه لآدم . وذلك لأن جهله وغباءه صور له أن آدم هو السبب فى طرده من رحمة الله ونسى أو تناسى أن استكباره وتعاليه ومعصيته الكبرى لأمر الله هى السبب الذى أودى به إلى مصير كل عاصٍ لأمر الله وهو الطرد من رحمة الله . ولم يعِ أو يدرك أن الكبرياء فى السموات والأرض لله رب العالمين وإنه هو العزيز الحكيم . وغاب عن عقله الجاهل أن الكبرياء المطلق لله فى هذا الكون والوجود حيث يتصاغر كل كبير وينحنى كل جبار ويستسلم كل متمرد أمام كبرياء الله وعزته وقدرته

---

(١) سورة الحجر/٣٧ ــ ٣٨ .

وحكمته المدبرة .

وأفصح إبليس الشرير عن ما يُكِنّ فى نفسه نحو آدم وذريته وأظهر نواياه الخبيثة وأشعل نار الحقد التى يطمع فى أن يحرق بها آدم وذريته .

قال تعالى : **﴿قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين﴾**(1)

ونرد على من يسأل إذا كانت الغواية من الله حين قال إبليس . بما أغويتنى فكيف يحاسب إبليس . لكن المفكر والمتمعن فى قصة الخلق والمتدبر لأمورها يدرك ويستوعب ويتيقن أنه لا شىء يقع فى كون الله دون إرادته والله شاء أن يخلق الإنس والجن مختارين يملكان حق الطاعة والرفض .

وهذا الحق هو الذى منع إبليس أن يطيع الأمر الإلهى وأبى السجود فلو خلق إبليس مقهورا لا إرادة له لما استطاع أن يرفض الأمر الإلهى ويعصى ربه لكن الله أعطاه حق الاختيار واختار إبليس بنفسه الكفر على الإيمان فالغواية تمت من هنا حين أعطى إبليس حق الاختيار .

فاختيار الكفر كان بإرادة إبليس وبذاته ولم يتدخل فى هذا الاختيار أحد . ولابد لنا أن نعلم أن الله يعلم بكل ما يحدث ويعلم أن إبليس سوف يختار الكفر وحدث فعلا من إبليس ولكن الله لم يكرهه على الكفر وهكذا نرد على التساؤل .

---

(1) سورة الحجر/٣٩ .

قال تعالى : ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾ [١]

فأظهر إبليس نواياه فى الانتقام من بنى البشر فلن يألو جهدا ولن يدخر قدرة إلا وسوف يكرسها فى إشعال نار الحقد ويؤجج لهيبها كى يحرق بها آدم وذريته اقر وتوعد أمام الحق سبحانه وتعالى أنه سوف ينتقم من بنى آدم ويزين لهم الدنيا ويزخرفها ويجملها فى أعينهم ويبعدهم عن منهج الهداية والطاعة . وإنه سوف يقود بنى البشر إلى ظلمات الفسوق والفساد وينأى بهم بعيدا عن الصراط المستقيم ، وتوعد إنه سوف يزج ببنى البشر إلى البحر يصارعون فيه عناصر الفساد ويتوهون فى خضمه فلا يجدون من منقذ يقودهم إلى شاطىء الإيمان وأوهم إبليس نفسه أنه سوف يغوص بذرية آدم إلى الأعماق المظلمة فى يمِّ الكفر والعصيان حين يزين لهم الباطل .

لكن إبليس استدرك فوقف عند حدوده الضعيفة الهشة فلم يذكر أنه سوف يضل جميع البشر لأن هناك قدرة وعطاء إلهى أقوى من وساوس وشباك إبليس إنه العطاء الإلهى يحمى الله به عباده المؤمنين فلا يقترب منهم إبليس ولا شروره ولا يدنو منهم وهج الحقد الذى يلتهب ويتأجج فى نفس إبليس .

قال تعالى : ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ [٢]

إنه اعتراف من ابليس إنه لا يملك ولا يقدر على المؤمنين وإنه ليس له سلطان عليهم وهل قال ذلك إبليس منّة على عباد الله المؤمنين أو رحمة بهم لا والله فلو أن الأمر بيده لن يترك فردا من

---

(١) سورة ص/٨٢ .

(٢) سورة ص/٨٣ .

ذرية آدم إلا وأهلكه وأصلاه بنار حقده وضغينته فهو يكن العداوة والبغضاء لبنى آدم كلهم لا يستثنى منهم أحدا . لكنه يعلم علم اليقين أن عباد الله المتقين لا خوف عليهم وذلك لأن قلوبهم يعمرها حب الله وأشرقت نفوسهم بنور الحق فهذا هو الحصن المنيع الذى لا يقترب منه إبليس وحقا إن القلوب التى تنشرح للإيمان وحب الله وتندى به تكون مع الله ومن يكن مع الله وفى عصمته فلا خوف عليهم .

قال تعالى : ﴿**إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين**﴾ (١)

قال تعالى : ﴿**إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا**﴾ (٢)

حقا إن عباد الرحمن هم الذين أخلصوا لله وتسلموا زمام أمرهم له طائعين مختارين مخلصين يرجون رحمته . قلوبهم وجلة خاشعة لعظمة الله وهم قانتون لله ربهم وهم يدعون الله وحده إذا أصابهم الشر ، وعباد الرحمن هم الذين يتمسكون بحبل الله ويهتدون بهديه .

ومنطق الإيمان الصحيح فى بساطته وقوته ووضوحه وعمقه أن يكون فى قلب كل مؤمن حب الله وطاعته وهذا الإيمان هو دستور كل مؤمن فى الحياة يغنيه ويكفيه ويكشف له الطريق السوى .

والثقة بالله واليقين بالخالق والطمأنينة الوجلة لله هى التى تغمر

---

(١) سورة الحجر/٤٢ .

(٢) سورة الإسراء/٦٥ .

قلب كل مؤمن بعد كل هذا الإيمان كيف يكون لإبليس على هذا القلب المؤمن من سلطان ، كيف يكون لهذا الشيطان الحقير من سلطان على المؤمن المستنيرة نفسه بنور الله والمتمسك بعرى الله التى لا تنفصم . بل فمن يخيف هذا المؤمن العابد فى محراب الايمان وماذا يخيف المؤمن إذا كان الله معه ومن ذا يشك فى كفاية الله لعبده وهو القوى القاهر فوق عباده وإرادة الله هى النافذة ومشيئته هى الغالبة وهو الذى يقضى فى العباد قضاءه وهو يعلم من يستحق الضلالة فيضله ومن يستحق الهداية فيهديه .

متى استقر الإيمان فى قلب المؤمن فقد انتهى الأمر وانقطع الخوف إلا الخوف والوجل من الله . إنها الطمأنينة بعد هذا والثقة واليقين ، الطمأنينة التى لا تخاف والثقة التى لا تقلق واليقين الذى لا يتزعزع والمضى فى الطريق على ثقة من نهاية الدرب والمشوار .

وكان التحذير الإلهى لإبليس ان ليس له سلطان على عباد الله المؤمنين والله الخالق العالم بهذه الأنفس ومدى إيمانها وهو المحيط بما يخفون وما يعلنون . فالحق سبحانه وتعالى يذكر إبليس اللعين إن هؤلاء هم فى حماية الله ورعايته .

أما العبيد من البشر الذين اتبعوا إبليس وزين لهم الباطل هم فى ضلال مبين وهؤلاء هم من يستحوذ عليهم الشيطان فيمتلك عليه أنفسهم وينقادوا له صاغرين يجرهم بلجام الفسوق والطغيان والباطل وهؤلاء هم من وصفهم الحق بالغاوين .

قال تعالى : ﴿**إلا من اتبعك من الغاوين**﴾(١)

---

(١) سورة الحجر/٤٢ .

إن أتباع الشيطان أغوتهم الحياة الدنيا حين ضعفت نفوسهم وغفلت عن حب الله وأصبحوا عبيدا للشيطان يزين لهم الأهواء . فما كان منهم إلا أنهم خسروا حلاوة الإيمان وطمأنينة الاعتقاد وخسروا فى الآخرة أنفسهم .

قال تعالى : ﴿**والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون**﴾[1]

والشيطان يأتى الإنسان من كل صوب ولا يترك سبيلا ولا طريقا إلا وسلكه فى سبيل غواية الإنسان يحاول أن يضل الإنسان فى كل منفذ وكل اتجاه لا يهدأ ولا يكل من الوسوسة للإنسان غايته الضلال والباطل وهمه الأكبر هو غواية ذرية آدم والبعد بهم عن نور الإيمان إلى ظلمات الباطل والفساد .

قال تعالى : ﴿**ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين**﴾[2]

إن فى هذه الآية الكريمة تذكير لنا معشر البشر بما يحكيه لنا إبليس وما هى السبل التى يحاول منها أن يدخل للنفس البشرية فقد أوردت الآية الكريمة أن إبليس قال إنه سوف يأتى ذرية آدم من كل جهة وناحية لكن هناك جهتين لا يأتى منهما الشيطان أبدا . فلم يقل من تحتهم لأن ذلك مكان السجود ولم يقل من فوقهم لأن ذلك مكان رفع الصلوات والدعاء لله وهكذا فالشيطان لا يقترب من جهات عبادة الله وهذا تحقير لشأن الشيطان وحرى بنا ذرية آدم أن

---

(١) سورة الزمر/٦٣ .
(٢) سورة الأعراف/١٧ .

نتدبر ونستوعب أمر لحظات خلق أبينا آدم عليه السلام . أليس فيها دروسا وعظة وحكم بالغة من استحضرها إلى قلبه وأدرك معانيها وجوهرها فقد يتسلح بهذه المواعظ ضد وسوسة الشيطان هكذا كان خلق آدم معجزة خارقة كبرى تدل وتشير إلى عظمة خالق آدم ومسخر هذا الكون له . والإنسان العارف لربه الناظر فى كتاب الكون المفتوح يدرك تماما عظمة خالقه ويتعرف على النعم التى أسبغها الله على الإنسان والتى تستوجب منا شكر الخالق على نعمه عبادة واستغفارا وتوبة وفى معصيته إبليس وما يضمره لبنى البشر من شر وحقد حرى بنا أن نتحصن بقوة الإيمان التى هى البرج المنيع الذى يحمى النفس من شرور الشيطان ، إن المعركة الخالدة بين الحق والباطل لا تنطفىء نارها المستعرة منذ أن خلق الله آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ثم يكون يوم الحساب يوم لا ينفع مال ولا بنون يومها يزج الحق بالشيطان الرجيم فى نار جهنم فهو المصير المحتوم لهذا اللعين .

خطيئة آدم

إن خطيئة آدم عليه السلام تستحق منا تدبرها وفهمها وإدراكها وتستوجب منا استيعاب دروسها واستنباط الحكم منها . فهى برهان يقين على حقد الشيطان وما يدبره لبنى الإنسان ولابد من التنويه هنا إلى أن المقولة ان الخطيئة التى حدثت من آدم هى السبب التى أخرجت آدم وذريته من الجنة وهبطت بهم إلى الأرض . نرد على هذه المقولة أن هذا اعتقاد خاطىء ، فالمتبصر فى

آيات الله والدارس للقرآن الكريم يدرك أن آدم خلق ليعيش فى الأرض ويكون خليفة الله فيها قال تعالى : ﴿**إنى جاعل فى الأرض خليفة**﴾ (١)

إذن آدم خلق ليكون خليفة الله فى الأرض وليعمرها ثم يكون هناك يوم الحساب فيه عقاب وثواب يدخل المؤمنون الجنة ويعذب الكافرون فى النار . وهذا إرادة الله وقدره لبنى آدم والحديث عن خطيئة آدم وإننا نتحمل وزر هذه الخطيئة ونعذب بها فى الدنيا أمر يتنافى مع عدل الله سبحانه وتعالى لأن الله لا يعذب أحدا بذنب أحد .

قال تعالى : ﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾ (٢)

إن معصية آدم كانت تجربة عملية أراد الله بها أن يبين لآدم وذريته كيف يكون إغواء الشيطان ووسوسته ، وفيها تذكير لآدم وذريته بأهمية البعد عن الغفلة وأن غفلة النفس هى مدخل الشيطان إلى غواية الإنسان وهو درس كبير تلقنه آدم وذريته يؤكد على كذب إبليس فى كل دعواه التى يمنى بها الإنسان ليقوده ويحمله على معصية الله .

قال تعالى : ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى * فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى**﴾ (٣)

فالدرس الأول الذى نستخلصه ويجب علينا تدبره والتمعن فيه

---

(١) سورة البقرة/٣٠ .   (٢) سورة الزمر/٧ .

(٣) سورة طه/١١٦ ـ ١١٧ .

وإدراكه جيدا هو تمام عدل الله حين نبه آدم إلى ما يريد أن يفعله إبليس فذكر لآدم إن ابليس عدو له ولزوجه التى خلقها بعد أن خلق آدم .

قال تعالى : **﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾**[1]

يخبرنا الله إنه خلق آدم ثم خلق حواء من آدم ، وعدل الله لم يتركها فريسة لعدو شرس غادر لئيم بل بين لآدم وزوجته أن إبليس عدو لهما وهذا تحذير وتنبيه من الخالق العظيم عالم الغيب والشهادة . إن عدل الله ومشيئته أرادت أن تزود آدم بتجربة عملية قبل أن يبدأ مهمته فى خلافة الأرض فكانت البداية فى التجربة التى حدثت مع آدم وما نتج عنها من غفلة ونسيان آدم لأمر ربه ثم كانت الخطيئة ، إنه درس لآدم أدرك فيه مدى خطورة عدوه اللدود وما يضمره له فى نفسه الحاقدة إنه حقا عدل الله أن يحذر آدم بخطورة عدوه وشراسته حتى لا يأتى آدم يوم القيامة ويقول لم تحذرنى ياربى من الشيطان وإلا لما أطعته واستمعت إلى غوايته وحتى لا يحدث هذا والله عليم بما سيحدث وعلمه محيط بكل شىء فكان تحذير الله لآدم من عدوه الشيطان هو من تمام عدل الله .

وحكمة أخرى نستخلصها من تمام عدل الله فى خلقه وهى أن التحذير لابد أن يسبق الفعل بعد أن خلق الله آدم وحواء أدخلهما الجنة وكفل الله لهما كل مقومات الحياة من عيش وأكل وشرب

---

(١) سورة النساء/١ .

ولباس دون تعب أو عناء وطلب منهما أن لا يقربا من شجرة معينة .

قال تعالى : ﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾[1]

وكان هذا أول بيان لمنهج الله وهو الاختبار الأول لإرادة الاختيار التى أعطاها لآدم . فقد أباح لآدم نعما كثيرة وسمح له أن يأكل من حيث شاء ولكنه حرم عليه شجرة واحدة ولم يذكر الحق نوع هذه الشجرة ولو كان فى ذلك تشريع أو فائدة تجنى فى ذكر اسم هذه الشجرة ونوعها لذكره الله ، كانت شجرة اختبار إرادة الإنسان فى افعل أو لا تفعل . وفيها معانى اتباع منهج الله أو الابتعاد عنه وإذا نظرنا إلى منهج الله فى الأرض نجد أن الله سبحانه وتعالى أحل الكثير من الطيبات وحرم القليل جدا . وقد أرسى الحق مبادئ العدالة فى الأرض فلا عقوبة بدون تجريم فإذا تم العقاب بدون جرم يرتكب لم يكن العقاب عدلا فعدل الله التام حذر آدم وحواء من الاقتراب من الشجرة .

قال تعالى : ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾[2]

وهنا لم يذكر الحق كلمة التحريم لأن الأمر الإلهى فى عدم الاقتراب هو أبلغ وأقوى مما لو ذكر كلمة التحريم لأن الاقتراب فيه إغراء للنفس أما الابتعاد نهائيا يحمى النفس ويصونها . وفى الاقتراب من المحرمات ينتج عنه ارتكاب الإثم فأخبر الله آدم بعدم الاقتراب من تلك الشجرة وكان هذا الإعلام هو أول بلاغ

---

(١) سورة الأعراف/١٩ .
(٢) سورة الأعراف/١٩ .

للإنسان عن منهج الله .

وهو أول وحى إلهى علم آدم ما يجب أن تكون عليه حركة حياتهم وشاءت إرادة الله وتمام عدله أن لا يخرج آدم من الجنة إلى الأرض إلا بعد تجربة عملية تثبته وتوضح له حقيقة حركته فى الحياة وتعلمه منهج الله فى الأرض وشاءت رحمة الله بآدم أن تكون تجربة عملية وليس منهجا نظريا فكان درس تربية دينية على منهج الله .

ثم كان الأمر الإلهى لآدم وزوجه ان لا يقربا تلك الشجرة ثم حذره من الشيطان ووسوسته وعداوته لآدم ..

قال تعالى : ﴿**فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى**﴾(١)

انها أول تجربة مع الشيطان مر بها آدم ، أخذ الشيطان يزين لآدم حب الشهوات والمال والخلد ، وهيأ لآدم أن الشجرة التى حرمها الله عليه فيها الخلد والملك الذى لا يبلى ، والشيطان يعلم علم اليقين أن هذه الشجرة لا تعطى الخلد وإلا لماذا لم يأكل هو منها لكنه بالكذب أراد أن يغوى آدم حتى يعصى أمر الله ويأكل آدم وزوجته من تلك الشجرة المحرمة .

وكان على آدم أن ينتبه أن الشيطان عدو له وقد حذره الله سبحانه وتعالى منه ونبهه أن الشيطان يريد أن يخرجها من الجنة لكن الشيطان استغل غياب التفكير السليم والغفلة من آدم واستطاع إغوائه فى أن يأكل من الشجرة المحرمة .

---

(١) سورة طه/١٢٠ .

إنها لحظة إغواء خالدة يجب أن يتذكرها كل عبد منيب يأخذ منها العبرة والطريقة التى يستطيع بها الشيطان إغواء الإنسان ، إنها إحدى الطرق التى ينفذ من خلالها الشيطان إلى النفس البشرية إنها لحظة الغفلة وغياب الفكر والإنسان دائما يبحث عن الخلد ولا يريد أن يموت أبدا ويخشى أن تفارقه النعمة أو يفارقها ذلك هو هم الإنسان فى الدنيا وإنها طرق الغواية التى يسلكها الشيطان ويغوى بها الإنسان ، يزين له كيف يحصل على النعمة الزائلة عن طريق المعصية ويوسوس له اتباع طريق الحرام للحصول على النعمة والشهوة .

فيندفع الإنسان فى المعاصى ويلهث وراء الشهوات والنعم الزائلة فى المال والجاه والبنون ويغفل الإنسان عن منهج الله فيضله الشيطان وهو ما يهدف إليه إبليس .

قال تعالى : ﴿**وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين**﴾ (١)

يذكر الحق جل تعالى أن إبليس أقسم لآدم أنه ناصح أمين وأنه يريد لهما الخير ، ونتساءل هنا بمن أقسم إبليس اللعين وقد كفر بالله وهل يقبل قسم من كافر وهل له عهد يرجى أو يصان ؟

ورغم تحذير الله لآدم ونهيه له بعدم الاقتراب من الشجرة المحرمة ، ومع أن الحق أباح لآدم وزوجته أن يأكلا من كل ثمار

---

(١) سورة الأعراف/٢٠ ـ ٢١ .

الجنة ورغم تحذير الله لآدم أن إبليس هو عدو مبين وأنه يريد أن يخرجهما من الجنة ومع أن الأكاذيب التى أغرى بها آدم وحواء لا تتفق ومنطق العقل ولا قدرة الشيطان فقد صدقه آدم وزوجته وأكلا من تلك الشجرة المحرمة .

ماذا حدث بعد أن أكلا من تلك الشجرة هل حصلا على الخلد المزعوم من الشيطان الرجيم وهل نالا النعيم والملك الذى لا يزول وما هى النتيجة ؟ إنه انتصار الشيطان من أول معركة وحقق بذلك هدفه فى طرد آدم من الجنة وخسر آدم وزوجته كل شىء وأخرجهما الله من الجنة ونزل آدم إلى الأرض ، هكذا يبين لنا الله سبحانه وتعالى أن الشيطان لا يدخل للنفس البشرية إلا مع الغفلة أو مع غياب التفكير الإيمانى ، ويكشف لنا الله أن كل ما يعد به الشيطان بنى البشر لو تمعنا فيه وأدركناه جيدا لوجدناه كذبا ونفاقا وكله عبارة عن أوهام يزين بها الشيطان أمور الدنيا كى يضل بها الإنسان ويقوده لارتكاب المعاصى .

ووقع آدم فى شباك الشيطان وأكل من الشجرة المحرمة التى نهاه الله عنها واستحق آدم بذلك عقوبة الله فأخرجه من الجنة . إنها موعظة يجب أن نستحضرها مع كل وسوسة للشيطان ويجب أن نتذكر دائما أن محارم الله يجب أن لا نقترب منها حتى لا نقع فيها ، والابتعاد عن محارم الله هى أبلغ وأحرص للنفس البشرية من الاقتراب منها حتى ولو لم يرتكب تلك المحرمات وكمال التبليغ الإلهى لآدم بعدم الاقتراب من تلك الشجرة هو كمال الاحتياط وفيه يكمن بلاغة التعبير وتمام علم الله ببواطن النفس البشرية ولحظات ضعفها

ووهنها فكان الأمر الإلهى لآدم بعدم الاقتراب من الشجرة المحرمة .

قال تعالى : ﴿**تلك حدود الله فلا تقربوها**﴾ (١)

إن استعراض لحظات خطيئة آدم توصِّل وبكل يُسر ودون عناء أو جهد إلى أن إبليس استطاع إغواء آدم وزوجته واستدرجهما للاقتراب من الشجرة المحرمة وهى رمز المعصية وحين اقترب آدم من تلك الشجرة المحرمة فقد عصى آدم ربه ووقع فى المعصية ثم كانت الخطيئة فأكل آدم وزوجته من الشجرة المحرمة التى نهاه الله عن الاقتراب منها .

إن هذه التجربة التى مر بها آدم وأغواه إبليس فأكل من الشجرة المحرمة وكانت أول معركة بين الحق والباطل وانتصر فيها إبليس فأغوى آدم وأكل من الشجرة المحرمة فعصى آدم أمر ربه ثم قضت إرادة الله فأخرج آدم وزوجته من الجنة ، إن هذا دليل وبرهان يقين لبنى البشر كيف تتم المعصية وما هى طرق الشيطان فى غواية البشر ثم ماذا حدث بعد أن أكل آدم وزوجته من الشجرة المحرمة .

قال تعالى : ﴿**فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم أمر ربه فغوى**﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿**فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين**﴾ (٣)

---

(١) سورة البقرة/١٨٧ . (٢) سورة طه/١٢١ .

(٣) سورة الأعراف/٢٢ .

إن الحق يشرح حقيقة ما حدث فما ان أكلا من الشجرة حتى بانت وظهرت سوءاتهما ، وهل هذه السوءات هى العورات كما تذكر جميع التصورات أم هى المعصية والخطيئة التى ارتكباها وأيهما كانت فإن ما حدث كان شيء عظيم إن ما ارتكبه آدم وزوجته كان خطيئة كبرى نتج عنها أن بدت لهما سوءاتهما ثم أخذا يبحثان عن أوراق شجر الجنة كى يسترا به ما بدا منهما وما أظهرته خطيئتهما لقد انكشف عنهما ستار الايمان والطاعة والذى كان يستر كل عورة وكل خطيئة إن لباس الإيمان يكسو ويستر كل عورات الإنسان الجسدية والنفسية لكن الشيطان دائما يحاول ويهدف لتمزيق ستار الايمان الذى يحمى الإنسان ويحفظ عوراته من الظهور .

إنه درس عظيم لبنى البشر يجب أن يذكرهم دائما أن كل أفعال الشيطان هى كشف لعورات الجسد البشرى ، وتعرية لسوءات النفس وهواها وجل هم الشيطان وهدفه كشف الإنسان وتعريته من كل ستر إيمانى يقى الإنسان ويحميه ضد وساوس الشيطان .

والشيطان لا يقعد عن نبش حصون النفس الإيمانية يريد أن يزلزل من تحتها الأركان كى تنهار وتتداعى وتهوى مع كل معصية يقع بها الإنسان ثم كان العتاب الإلهى لآدم وزوجته لما ارتكباه من عصيانه أمره واتباع وسوسة عدوهما المبين فذكرهما الله جل جلاله بما نهاهما عنه فى أن لا يقتربا من الشجرة المحرمة . لكن آدم وزوجته غفلا تذكير ربهم بأن الشيطان لهما عدو مبين واتبعا وسوسة عدوهما الذى يريد بهما الشر وإخراجهما من جنة الله كما خرج هو من رحمة الله .

« الفرق بين معصية إبليس وخطيئة آدم »

لقد غفل آدم أمر ربه ونسى تحذيره له من الشيطان فأوقعه ذلك فى ارتكاب خطيئته المعروفة حين أكل من تلك الشجرة التى حرمها الله عليه كيف كان تصرف آدم وحواء وكيف قابلا المعصية .

لقد عصى إبليس أمر الله واستكبر ثم طلب من الله أن يمهله إلى يوم الدين بعد أن طرده الله من رحمته ، ومنذ تلك اللحظة بدأ يضمر الحقد والضغينة لآدم مما تمتلىء به نفسه من عناصر الشر فكانت معصية إبليس رفض لأمر الله عن قصد وإصرار ثم هى استكبار من إبليس أن يسجد لآدم الذى خلقه الله من الطين جاعلا درجة التفاضل هو مادة الخلق بينه وبين آدم .

لكن آدم بعد أن وقع فى الخطيئة اعترف بأنه ظلم نفسه حين اتبع الشيطان ، وغفل عن تحذير الله له من أن إبليس عدوه ويريد أن يخرجه من الجنة . حينئذ خر آدم متوسلا الله تعالى العظيم أن يغفر له ذنبه وأقر بخطئه لله تائبا مستغفرا لذنبه مقرا ومعترفا بعطاء الالوهية لها وأيقنا بتمام علم الله والذى يحيط بكل شىء فى السموات والأرض وإنه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

وأقر آدم أن الله لم يظلمهما قط ولكنهما هو وزوجته ظلما أنفسهما ثم توسلا لله تائبين خاشعين وطلبا من الله أن يرحمهما ويعفو ويغفر لهما ذنبهما وإلا سوف يكونا من الخاسرين .

إن آدم أقر بخطيئته واعترف بذنبه واتهم نفسه بأنه ظلمها واعترف وأيقن أن الله هو الحق وأنه القاهر فوق عباده . بهذا فقد

ألحق آدم خطيئته بالتوبة والندم والغفران ، وكان هذا أول درس فى منهج الله فى الخطيئة والتوبة . وهكذا فقد وضع الحق ناموس الخطيئة والتوبة لمن تاب وأناب .

ونخلص إلى أن خطيئة آدم كانت غفلة ونسيان وغياب الفكر الإيمانى فى لحظات وسوسة الشيطان ولم تكن خطيئة عصيان ورفض واستكبار وكفر كما فعل إبليس اللعين . فالفرق شاسع بين معصية إبليس وخطيئة آدم عليه السلام .

وخطيئة آدم تصور مراحل الضعف والغفلة فى تكوين النفس البشرية وهى بوابات الشر التى يدخل منها الشيطان ليهيمن على النفس البشرية فى أضعف حالاتها فيمتلك الشيطان زمامها ويقود دفتها دون مقاومة أو رفض .

قال تعالى : ﴿**ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجده له عزما**﴾ [١]

وقال تعالى : ﴿**قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**﴾ [٢]

بهذه الدروس العملية التى مر بها آدم أثناء وجوده فى الجنة تم إعداده عمليا ليمارس مهمته فى الأرض واستأهل بذلك كى يكون خليفة الله فى الأرض .

إن خطيئة آدم واقع عملى تسلح منها آدم بدروع إيمانية وتلقن دروسا ومعانى فى منهج الله ومنها استخلص آدم حقيقة بازغة

---

(١) سورة طه/١١٥ .
(٢) سورة الأعراف/٢٣ .

واضحة لا تعمى على أحد إلا من طمس الشيطان على أعينهم وأذهب بالغفلة والنسيان عقولهم . إنها حقيقة أن وعود إبليس وما يمنى به الإنسان ويزينه له هو كذب وافتراء .

ثم نفذت إرادة الله فخرج آدم وحواء من الجنة جزاء بما ارتكباه من خطيئة وعقاب لهما لمخالفتهما أمر الله ونواهيه .

قال تعالى : ﴿**قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين . قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون**﴾ (١)

إن فى هذه الآية تقرير إلهى أن ذرية آدم سوف يكونوا من بعده أعداء لبعضهم البعض فأبناء آدم منهم المؤمن ومنهم الكافر بخالقه ، وأكد لنا الحق سبحانه وتعالى أن الصراع بين الشر سوف يكون صراع بين الكفر والإيمان وصراع بين الحق والباطل وكذلك بين الكفر والكفر حيث تكمن النزوات والشهوات بأدنى صورها إنه إخبار لآدم من خالقه بما سوف يحدث لذريته .

قال تعالى : ﴿**فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم**﴾ (٢)

بعد أن نزل آدم إلى الأرض أدرك عظم المعصية التى ارتكبها وعرف ما فعل به الشيطان حيث أخرجه من الجنة التى لا يجوع فيها ولا يعرى ، وألقى به فى الأرض كى يشقى ويضنى . حينئذ تلقى آدم من ربه صيغة الاستغفار والتوبة وظل آدم نادما يتضرع لله أن يغفر له

---

(١) سورة الأعراف/٢٤ - ٢٥ .

(٢) سورة البقرة/٣٧ .

خطيئته وكانت أول كلمات توبة نطق بها آدم لقد استغفر آدم ربه بعطاء الالوهية ومقرا ومعترفا بأن الله خالقه . وأنه لا إله إلا هو الواحد الأحد وتوسل آدم إلى الله أن يغفر له ويتوب عليه ، لقد قبلت التوبة وغفر الله خطيئة آدم وبدأت حياة جديدة ومرحلة ثانية فى حياة آدم على الأرض .

قال تعالى : ﴿**قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**﴾[1]

هذه الآية هى المبادئ الأولى والقواعد الأساسية لمنهج الله فى الأرض فمن اتبع منهج الله فى الحياة الدنيا استحق رحمة الله وجنته التى وعد بها المتقون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون حقا مما يخافون بعد أن تمسكوا بالعروة الوثقى وممن يخافون وقد كفلهم ربهم خالقهم القاهر فوق عباده . حقا لا خوف على من اتبع هدى الله وسار على منهجه واستنار قلبه بنور الإيمان .

أما الكافرون الملحدون الفاسقون إنهم ساء ما كانوا يفعلون لهم فى الدنيا خزى وفى الآخرة نار جهنم وبئس المصير .

وعدل الله ورحمته ببنى البشر تحيطهم دائما وتحذرهم من فعل الشيطان وغدره وتدعوهم إلى اتباع منهج الله الذى يحميهم ويبعد عنهم كيد الشيطان .

قال تعالى : ﴿**يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم**

(١) سورة البقرة/٣٨ ـ ٣٩ .

وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون﴾[1]

إن الله يستر عورات بنى البشر بما وهب لهم من مقومات جسدية تغطى هذه العورات . لكن لباس التقوى والإيمان هو أعظم لباس إنه يوارى عورات الجسد والنفس فليس هناك لباس يقى ويستر هذه العورات مثل لباس التقوى .

إن رب العزة والجلال يدعو بنى البشر إلى ستر عوراتهم بارتدائهم لباس التقوى . وما بال بنى البشر هذه الأيام غفلوا هذه الدعوة الحقة ؟ ما بال بنى البشر لا يلبسون لباس التقوى ولا يتكالبون على اقتنائه والفوز به ؟ ندعوكم بنى البشر ونناشدكم أن تستروا عوراتكم كما أراد لكم خالقكم العظيم ، لكن إنسان اليوم فى غفلة وجهل وقد عميت أبصارهم ، لقد نزعوا كل لباس للإيمان والغواية اعتقادا منهم أن هذا هو التمدن وهو الحرية ويعتبرون كشف أجسادهم وعوراتهم هو قمة المدنية والتحضر. أى فسوق هذا وأى فساد إنها الرذيلة التى استشرت فى هذا الزمان وأصبح لباس التقوى فى نفوس البشر هو أرق وأوهى من خيط العنكبوت وأكثر شفافية من زجاج البللور .

أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ؟ ما بالك تنأى وتتباعد عن ركب الإيمان وتلبس أثواب الفسوق والضلال والعصيان وتلقى وتخلع عن جسدك ثوب التقوى والإيمان الذى أراده لك ربك

---

(١) سورة الأعراف/٢٦ .

وخالقك ومبدعك ؟ إننا ندعو الله الرحمة والغفران وأن يلبسنا دائما ويستر عوراتنا بلباس التقوى .

حقا إن النفس التي تنشأ فى تقوى الله نفس طيبة لأن الإنسان المؤمن دائما يجمع شهوات الإيذاء والإساءة والضرر للآخرين فى نفسه فكأن التقوى هى لباس يستر بها كل العيوب التى تسىء إلى الناس . إنها رحمة الله فى بنى آدم أن جعل الإيمان هو مصدر كل خير وكل سعادة فى الدنيا والآخرة .

قال تعالى : **﴿يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾**[1]

والله سبحانه وتعالى يحذر بنى البشر دائما من عداوة الشيطان ويذكرنا دائما أن منهج الله فيه حماية الإنسان من أعمال الشيطان وغدره ويعدنا الحق سبحانه وتعالى النعيم والفوز العظيم لكل من طرد الشيطان من نفسه . لكن الشيطان يهدف دائما أن يلقى ببنى آدم فى جهنم التى تنتظره دائما والشيطان يزين للإنسان الحياة الدنيا ويزخرفها فيهىء لنا أن متاع الدنيا هو السعادة وهو الخلود . ويطمس على عقول من يتبعوه فلا يبصرون أكثر من موطىء أقدامهم . والغفلة فى النفس البشرية هى المرتع الخصب للشيطان يجنى بها ويحقق كل أهدافه وأمانيه فى ضلال الإنسان وفساده والشيطان يدخل الخوف للنفس حين ضعفها وغفلتها ونسيانها فيجعلها تنقاد له مغلولة

---

(١) سورة الأعراف/٢٧ .

بسلاسله إلى حيث الفساد والفسوق لكن الإيمان يحصن النفس بالقوة والطمأنينة فلا يساورها هاجس الخوف والجزع ولا تهدأ وتضعف أمام فتن الشيطان . فالإيمان هو جنات الله وربوعه اليانعة وحقوله النضرة فى النفس البشرية ، إن المدقق والمحقق فى النصوص القرآنية فى خلق آدم وفى معصية إبليس وخطيئة آدم يستخلص الحكم البالغة ويتدبر المعانى السامية . إن هذه النصوص توضح لنا كيف أعد الله آدم لمهمته العظيمة فى الأرض فقد كرمه الله وشرفه وفضله على كثير من خلقه وسخر له ما فى السموات والأرض وبين له وبتجربة عملية بواقع عدواة الشيطان وأساليبه فى الغواية وبين لآدم كيف أن الشيطان هو عدوه المبين وإرادة الحق نفذت وأعطت الإنسان حرية الاختيار فى اتباع منهج الله .

قال تعالى : ﴿**لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم**﴾[١]

---

(١) سورة البقرة/٢٥٦ .

« الفصل الرابع »

إرادة الاختيار

حين خلق الله آدم أعطاه حرية الاختيار . إنها الحرية التى لم يعطها لأى مخلوق سوى آدم والجن ، فأراد بهذا الاختيار أن يختبر العقل البشرى ولقد اقتضت حكمة الله ومشيئته أن يستخدم الإنسان عقله وإرادته وحريته فى اتخاذ القرار فى أمور حياته والمحكوم منها بإرادته ، ومعرفة الله والاعتقاد بوجوده يقوم أساسا على العقل ثم بعد ذلك على الإيمان ولابد لنا من توجيه ملكات العقل دائما فيما يقربنا ويعرفنا حقيقة الله وقدرته ويجعل صلتنا بالله دائما عبادة واستغفارا وتوبة . واعتقادى بالله يقوم على حرية الإرادة . وقد وصفت الإرادة الإنسانية بأنها العملية الشعورية الكاملة التى تقود الإنسان إلى اتخاذ قرار معين . والإرادة والإدراك والشعور هى ملكات العقل البشرى وقواه الرئيسية . فالإنسان عندما يرغب فى شىء أو يريد تحقيق فعل معين يتخذ عقله قرارا وإرادته هى التى تنفذه .

وأهم شىء فى الإنسان صفاته الأساسية التى لا يمكن تعليلها إلا بأنها قبس من أمر الله وأهم الصفات الأساسية للإنسان هى العلم والإرادة والقدرة والأخلاق هى سمات الجهال أو القبح فى

النفس البشرية .

والمادة لا تعرف نفسها ولا تعقل غيرها وليس لها خيار وقدرتها محدودة أما الإنسان فيعلم ويريد تبعا لهذا العلم وقدرته تنفذ على ضوء هذه الإرادة واستعداد الإنسان للعلم ظاهرة فى أعظم ظواهر الوجود فالإنسان الوحيد بين المخلوقات الذى يملك الاستعداد ليعرف كل شىء فهو يحلل ويرتب المعانى ويعلل الأمور ويقبل ويرفض ويتصور ويستطيع أن يفكر حتى يتوصل إلى مجهول ويرسم للحياة طريقا ويبنى حضارة ويكتشف علما ويدمر ويهدم حضارة أقامها .

ويلى ظاهرة العلم ظاهرة التعبير حين يعبر الإنسان عن كل ما يراود ويخالج سريرته فينتج تارة أدبا وأحيانا كلمة وأخرى فلسفة ومنطقا وتلك سلوكيات وانفعالات حركية فتلك برهة هدوء وسكون وهناك ثورة غضب وأحيانا شدة وقسوة وأوقات هو اللطف والرقة والحنان . كل هذا انفعالات نفسية إنسانية تتفاعل ويتم الهيمنة عليها بالعقل البشرى وكل هذا البيان والعلم يدلان على الله .

والمادة ليس لها إرادة بل تخضع لإرادة وتحكمها قوانين ثابتة لا تتغير ولا تتبدل والحيوان إن كان له إرادة فهى إرادة غريزة فى حدود معينة فليس للحيوان إرادة اختيار أو قدرة عقل ومنطق تفكير فالحيوان تحكمه أيضا إرادة الغريزة لاستمرار الحياة والنوع بإذن الله .

لكن الإنسان عنده طاقة إرادة التى يتميز بها بين باقى المخلوقات يختار بها ما يريد . فكلام الإنسان تحكمه الإرادة وحركته تسيطر عليها الإرادة إلا فى بعض أعضاء جسمه التى هى مناط الحياة .

وعلم الإنسان هو نبع الإرادة فالإنسان وحده يملك حرية الاختيار التى بها يختار بين الخير والشر إنها طاقة هائلة فى الإرادة يرافقها طاقة هائلة فى القدرة ، وبقدر ما أعطى الإنسان من طاقة إرادة أعطى قدرة عظيمة . ومظهر هذه القدرة إمكانية التسخير والاستفادة من كل شىء إن الإنسان قادر أن يطوع كل شىء فى هذا الكون فى حدود طاقته الممنوحة له من الله وضمن نواميس مقدرة من الله .

وهكذا فإن علم الإنسان وإرادة الإنسان وقدرة الإنسان تدل بشكل واضح على تمييز الإنسان عن المادة والله هو المعطى والواهب للإنسان إن إرادة الايمان فى النفس البشرية ترفض النزاع واللهث وراء المسخرات وإنما تمد بصرها مخترقة الحجب لترى أثر خالقها فى كل شىء مسخر ويتلاشى كل شىء فى النفس المؤمنة أمام حب الله وعظمته .

وفى الإرادة تنفعل أحداث الحياة كلها بالنسبة للإنسان وهى الكلمة والفعل والنية وخارج إطار هذه الثلاثة لن تجد شيئا فى الدنيا فالإنسان إما أن يتكلم أو يبيت النية على أن يفعل شيئا أو يفعل هذا الشىء فعلا وكلها تنبع وتستقى إرادتها من الإرادة فى عقل الإنسان . وبدون هذه الإرادة لا تنضبط السلوكيات القولية والعملية والانفعالات الظاهرة وهذا عامل عنصرى أساسى فى عملية الضبط أو التربية الذاتية النفسية .

إن الميزة الكبرى لعملية الضبط الذاتى فى تنشئة الإنسان وتربيته هى كونها تستند إلى عوامل عضوية جسمية إلى جانب عوامل نفسية ذاتية وهذا ما يجعل الضبط الذاتى التربوى عملية صحية فى

تكامل الفرد ونموه السوى السليم . وما يتميز به التكوين الإنسانى فى جهاز عصبى معقد يسيطر على أجهزة الجسم بضبط وتنظيم ، ويمثل الجهاز العصبى حلقة الاتصال بين جسم الإنسان والنفس الإنسانية والمخ هو مركز الاتصال بين الأجهزة والحواس ومهمته القيادة والتوجيه والضبط وكلها فى مجال هيمنة الإرادة .

والجهاز العصبى الإرادى يستطيع بحكم سيطرته عليه أن يضبط أعماله السلوكية والانفعالية الظاهرة .

والدافع الإيمانى بالله سبحانه وتعالى هو أقوى عامل لهذا التحكم الضبطى الوظيفى حين يعلم الإنسان أن الله أقرب إليه من حبل الوريد .

ويوجد فى الإنسان جهاز حاسة يستطيع توجيهه فطريا إلى رغباته نفسيا والحاسة الإنسانية نوعان إما باطنية وهى الحركة والتوتر العضلى الموجود فى العضلات وتساعد الإنسان على الإحساس بالجهد وهى مناط الانفعالات الحركية وكذلك الإحساس بالتوازن .

والحاسة الخارجية هى السمع والبصر واللمس والذوق والشم . ويعتبر الشم والبصر مصدران أوليان للمعارف الإدراكية للإنسان ويشكلان مع العقل مصدر العمليات العقلية النامية .

والإرادة الذاتية للإنسان هى عبارة عن قدرات ذاتية واعية شعورية تدفع الإنسان للعمل فى اكتساب أنماط سلوكية أو عادات أو اتجاهات تتوافق مع العقيدة والفكرة . أو تنأى عنها وتنحرف وهى عامل نفسى مهم فى عملية الضبط وإرادة الاختيار .

لأن القدرات الذاتية الشعورية المنطبقة وفق منهاج سليم هى التى تكبح جماح النفس وتطمر النزوات والشهوات أو تجعل بهذه السلوكيات والرغبات ضبط انفعالى ينبع من قناعات فكرية تحددت فى إطار أسس وقوانين إيجابية غايتها عبادة الخالق واتباع منهجه الإيمانى ولابد من تضافر القناعة الفكرية والرغبة النفسية ليتم ترجمة العقيدة والمبدأ إلى سلوك إدراكى شعورى والإنسان المؤمن لا يكفيه أن يكون إيمانه مجرد ميل نفس أو قناعة فكرية بل لابد أن يتحول ذلك إلى سلوك واقعى فى الحياة العملية وإرادة الاختيار عند الإنسان التى فيها مكنون عظيم وأسرار لا علم لنا بها إنما علمها عند الخالق الذى وهب الإنسان هذه الإرادة وجعله مخلوقا مختارا وليس مقهورا مسخرا فإرادة الاختيار هى تكريم لهذا الإنسان وكذلك ابتلاء واختبار للإنسان يمر به ليعلم الله أى الأنفس أحسن عملا فيجزى التى أرادت الخير وسلكت سبيله واتبعت منهجه ويعاقب النفس الأمارة بالسوء التى انحرفت عن منهج الله قال تعالى : **﴿الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور﴾**(١)

وإرادة الاختيار عند الإنسان هى الموجه المهيمن على تخطيط مجالات الضبط فى النفس البشرية وهى المقنن للدوافع الإنسانية ، والدافع فى النفس البشرية على الرغم من فطريته التكوينية لكن الدوافع والغرائز هى سمات كامنة أودعها الله فى النفس الإنسانية بها يحصل الإنسان على مقومات حياته وهذه الدوافع طاقة عمياء

---

(١) سورة الملك/٢ .

تسعى للإشباع عند التوتر النفسى عن أى طريق يكون متاحا أمامها .

لكن الحق خالق هذه الدوافع قنن لها ووضع لها منهج الايمان الذى يشبع هذه الدوافع عن طريق الخير ويهديها إلى الإشباع المنظم السليم وهذا ضمن نطاق وسيطرة إرادة الإنسان والدافع السلوكى للإنسان المؤمن غايته هدف وظيفى مباشر وهدف عرضى شامل . أما الهدف الوظيفى فهو الحصول على مقومات الحياة الإنسانية وليقوم الجسم بنشاطه حيا سليما ، والهدف العام الإنسانى هو تحقيق حياة إنسانية متكاملة للجسم والروح والنفس والعقل . الدافع الفطرى لدى الحيوان هدفه وظيفى مباشر لضمان حياته وحياة أجياله فى إطار محدد وغرائز منضبطة من حيث الأداء الوظيفى .

لكن الدافع الفطرى للإنسان فى السلوكيات القولية والحركية هو تحقيق معانٍ سامية غايتها الإيمان التعبدى للخالق العظيم . وليضمن لنفسه راحة وطمأنينة ولعقله بحثا ونموا وليبنى ويؤسس لأجياله تقدما وحضارة ، وإرادة الإنسان هى صمام الأمان الذى به تنضبط الدوافع والانفعالات وإذا دخل على هذا الصمام التلف والعطل وانفلت زمام الدوافع الإنسانية وجمحت شهوات الإنسان حينئذ تتلاشى الإرادة وتنعدم الضوابط فلا كابح لجماح الشهوات ولا منظم لدافع الغرائز والأهواء فيعم الفساد فى النفس ويستشرى البلاء داخل الإنسان ومن حوله .

إنها مشيئة إلهية خالقة أرادت أن تهب الإنسان إرادة فى اختيار الخير والشر وفى هذه الإرادة كان مبدأ الخير والصلاح والتكافل

والتراحم والتعاضد والحب والإخاء فى منهج الله سبحانه وتعالى . لأن إرادة الإنسان فى اختيار عناصر الخير فى منهج الله هى التى ترسم ملامح مجتمع الخير وتنير ظلمات النفس فتهتدى بنور ربها إلى سواء السبيل فإرادة الاختيار هى مصدر كل انفعال وسلوك إنسانى . فعلا كان أو قولا أو نية .

والإرادة هى المخطط والمنظم لمجالات الضبط فى الحياة النفسية السوية للإنسان وهى المنظم لكيان الدافع ذاته داخل النفس ويبقى مؤشر هذا الدافع فى المعدل الطبيعى لا يتعدى درجة الانحراف نحو الشر والفساد ، والإرادة هى مصدر الضبط السلوكى للدوافع العضوية وهى التى تقيم على السلوك المادى دافع الحاجة والضرورة . فهى تنظم الدافع الغريزى وتزود النفس بمنبه اليقظة . ينبهها حين الغفلة فإن انفعلت واستجابت لهذا المنبه كانت درجة تحكم الإرادة فى منظم الضبط النفسى عالية جدا وإذا غفلت وانساقت وراء الشهوة كانت العلة فى هذه الإرادة التى ضعفت ووهنت ولم تعد قادرة على ضبط الدوافع الفطرية للإنسان . فاحتاجت إلى إصلاح وتجديد ويكون ذلك بالنهى عن المنكر والأمر بالمعروف وتذكير النفس بأهوال طريق المعاصى . والعودة إلى منهج الله هو المجدد والمقوى لعملية الضبط للدوافع الفطرية واتباع منهج الإيمان يصون الإرادة ويجنبها الضعف والغفلة ومنهج الله فيه كمال التنظيم لإشباع الدوافع الإنسانية بالالتزام الدقيق بما أحل الله ، فما حرم الله طريقا ضارا لإشباع الدوافع الفطرية إلا وأحل معه طريقا شريفا طيبا لإشباع هذه الدوافع ، ويلتقى ويتعاون إشباع الهدف الوظيفى للدافع

الإنسانى مع الهدف الإنسانى السامى فى مجال العقيدة فى مرضاة الله تعالى فى الحياة الدنيا عمرانا وصلاحا وطلب المغفرة والتوبة والفوز بالحياة الآخرة .

قال تعالى : ﴿**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحْسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين**﴾(١)

والدافع فى أبسط مفاهيمه طاقة جسمية نفسية كامنة على هيئة استعداد يدفعنا نحو سلوك معين يهدف إلى غاية مثل دافع الجوع والظمأ لتناول الطعام والماء ودافع الجنس ودافع الخوف يطلب الأمان والدوافع ليست بدرجة واحدة فى النفس الإنسانية فدافع الأمومة ليس كدافع الجوع والدافع الواحد يختلف من شخص لآخر تبعا للتكوين النفسى والاستعداد الذهنى وتختلف قوة الدافع من مرحلة إلى أخرى فى حياة الإنسان . وتمتاز الدوافع بمرونة ذات قابلية للضبط والتنظيم وفى هذا يأتى دور الإرادة والدوافع متعددة وكثيرة خلقها الحق فى نفس البشرية وكلها تدل على عظمة الخالق وتمام علمه وطلاقة حكمته . والدوافع منها الفطرى والمكتسب ومنها العضوى والنفسى وكلها ذات تأثير فى تكوين النفس الإنسانية وتعتبر عملية الضبط الذاتى أهم سمات الإنسان والإرادة هى من كمال التكوين والصنعة .

وهكذا يتضح أن الإرادة عند الإنسان هى مرحلة السمو

---

(١) سورة القصص/٧٧ .

النفسى والإنسان بدون إرادة ينحدر إلى درجات الحياة البهيمية فى سلوكياته الانفعالية والحركية والعضوية وقد شرف الله الإنسان بعقل وقلب : هذا التشريف هو فى التكوين الإرادى والانضباط النفسى . فالإرادة هى عنصر التفضيل بين الإنسان وبقية المخلوقات . منها يستمد إنسانيته وعلو مرتبه .

وإرادة الإنسان هى مصدر الهداية فى النفس البشرية والهداية إما هداية إدلال بمعنى الدلالة العامة وهى التى توقف الإنسان على بداية طريق النجاة أو الهلاك وهى التى تكشف وتحذر الإنسان مما ينتظره فى طريق الشر فى هلاك وعذاب أليم وتبشره بما أعد الله للإنسان إذا سلك طريق الخير والنجاة فنهاية طريق النجاة صلاح فى الدنيا وإيمان واطمئنان وفى الآخرة جنات الخلد التى أعدت للمتقين فيها مما لا رأت عين ولا خطر على بال .

والإرادة الهادية هى من فضل الله على بنى البشر وهب الله الإنسان الحواس والعقل والعلم والإدراك بها تميز الإنسان واستطاع بها التمييز بين الخير والشر وكانت الإرادة هى قوة الضبط لهذه المواهب .

قال تعالى : ﴿**وهديناه النجدين**﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿**إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا**﴾ (٢)

أما هداية الإيصال والمراد بها إعانة العبد وتوفيقه للسير فى طريق الخير والنجاة وتدله على الأفعال الموصلة إلى الهدف المقصود

---

(١) سورة البلد/١٠ .

(٢) سورة الدهر/٣ .

وهو معرفة الخالق تعبدا واستغفارا وتوبة . والمؤمن دائما يسعى فى طلب الهداية الكاملة المؤدية إلى السعادة فى الدنيا والآخرة .

واختيار النفس البشرية للصراط المستقيم الذى أنعم الله به على عباده المؤمنين هو دليل على هداية النفس وطاعتها لخالقها فكانت من أعظم النعم التى من الله بها على الإنسان فأهل الهداية والاستقامة والطاعة لله لهم مقام رفيع ودرجات عليا عند الله .

قال تعالى : ﴿**صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين**﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما**﴾ (٢)

ومن أراد الهداية واختار بإرادته طريقها فعليه باتباع منهج الله فإنه نجاة له وهداية ولا هداية فيما سواه وفى القرآن الكريم ذكر يتذكر به من وجه إرادته للاستقامة على طريق الحق والصواب أما من أراد الانحراف عن طريق النجاة . فعليه تقع عاقبة الأمور وما ينتظره من عقاب وما سيناله من جزاء هو ثمرة ما اقترفت يداه وما اختار بتوجيه إرادته .

وعلى مشيئة وإرادة المكلف تتوقف الهداية وعلى الإنسان أن يجد فى طلب الهداية حتى يدركها إن شاء الله ذلك .

قال تعالى : ﴿**إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها**

---

(١) سورة الفاتحة .

(٢) سورة النساء ٦٩، ٧٠ .

ولا يحيى . ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى . جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى﴾[1]

وقال تعالى : **﴿لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون﴾**[2]

وقال تعالى : **﴿أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون﴾**[3]

النفس الإنسانية سر من أسرار الخالق العظيم وفى هذه النفس من المكنون والعجائب ما يعجز العقل البشرى عن فهم هذه النفس الإنسانية وقد أقسم الله سبحانه وتعالى بالنفس لما لها من شرف وتكريم فى هذا الوجود وقد خلق الله النفس الإنسانية سوية مستقيمة على الفطرة الإيمانية .

قال تعالى : **﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾**[4]

فالمولود الإنسانى يولد على الفطرة الإيمانية لكن أبواه هما اللذان يهدياه إلى طريق الخير أو ينحرفان به إلى طريق الشر والضلال . وللمحيط الاجتماعى دور كبير فى تنشئة الطفل وتوجيهه فإن كانت نشأة الطفل فى وسط اجتماعى تسوده مبادئ الخير وتحكمه تقاليد وعادات سوية كانت هذه العادات والمبادئ هى زاد الطفل فى مراحل عمره يجد فى هذا الزاد ما يشبع دوافعه الفطرية عن طريق الخير والفضيلة . أما من ساء ونشأ فى أحضان أبوين كافرين فإن

---

(١) سورة طه ٧٤ ـ ٧٦ .
(٢) سورة الحشر ٢٠ .
(٣) سورة السجدة ١٨ .
(٤) سورة الروم ٣٠ .

حظ هذا المولود من مبادئ الإيمان والتقوى والصلاح كم مهمل . لكن الله الخالق العظيم أعطى النفس البشرية قدرات وملكات يستطيع بها حين يبلغ مناط التكليف التمييز بين الخير والشر والله الخالق للنفس ركب فيها قواها الباطنة والظاهرة ، وحدد لكل قوة وظيفة تؤديها وفى تمام التسوية والعدل بأن وهب النفس الإنسانية العقل الذى يتحمل تبعة التكليف لما أودع الله فيه من قوة وقدرات ذهنية مذهلة .

والعقل البشرى قوة هائلة وهبه الله للإنسان كى يسعد به ولم يخلق الحق هذا العقل كى يشقى به الإنسان لكن الإنسان نفسه هو الذى يختار طريق الشقاء حين تحكم عقله أهواء وشهوات فانية ويشقى الإنسان بهذا العقل حين لا يستعمله للتفكير فى آيات الله العظيمة التى توصله إلى طريق الهدى والنجاة . فمن رجح طريق الخير أفلح وفاز ومن رجح طريق الشر خاب وخسر فالله سبحانه وتعالى خلق النفس الإنسانية وخلق فيها استعدادات متساوية للخير والشر والهدى والضلال وفى النفس إرادة اختيار توجه الاستعدادات الكامنة فى النفس وهى قدرة خفية فى كيان الإنسان ظاهرة فى تصرفاته وأعماله . والقرآن الكريم يعبر عن هذه القدرة تارة بالإلهام .

قال تعالى : ﴿**فألهمها فجورها وتقواها**﴾ (١)

وتارة يعبر عنها بالهداية قال تعالى ﴿**وهديناه النجدين**﴾ (٢)

وهكذا نصل إلى أن إرادة الاختيار كامنة فى صورة استعداد

---

(١) سورة الشمس/٧ .

(٢) سورة البلد/١٠ .

وهى الفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها وإلى جانب هذه الفطرة وعى الإنسان وعقله وإدراكه المميز بين الخير والشر. فمن استخدم عقله وإدراكه وإرادته فى تزكية نفسه فقد فاز فوزا عظيما وأفلح وربح الدنيا والآخرة ربح فى الدنيا بأن طهر نفسه من الرجس وأبعدها عن الدنس حتى بلغ بها ما هى معدة له من كمال القوى الفعلية والعملية التى بها يرسخ الإيمان وتستوى النفس ومن لم يستعمل عقله إلا فى الشر وأطلق لإرادته عنان هواها وأفلت لها لجام الضبط الذاتى فقد خاب وخسر. لأنه بذلك طمس قوة الاستعداد الإيمانية الفطرية فى النفس. والقوة العاقلة المدركة التى اختص بها الإنسان وهى إرادة الاختيار.

قال تعالى: ﴿**ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها**﴾[1]

إن إرادة الاختيار التى أعطاها الله للإنسان هى مصدر الخير والفساد فى هذا الكون أما الحكمة فى هذه الإرادة الممنوحة للإنسان فلا يعلمها إلا الله خالقه ومودع هذه القوة فى نفسه ولا يعلم مشيئة الخالق أحد، فإرادته ومشيئته غيب عنا لا يدركها العقل البشرى وليس لديه القوة والاستعداد لتلقى مثل هذه الغيبيات. فلا يحيط بعلمه إلا هو. فجل جلاله حين وهب وحين خلق وتعالى سبحانه فى كل ما خلق وكون. له الملك سبحانه فهو خالق كل شىء ورب كل شىء وبيده ملكوت السموات والأرض ليس كمثله شىء وهو

---

(١) سورة الشمس/٧ ـ ١٠.

السميع البصير. هو الأول والآخر. والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.

لقد جلت قدرة الله حين أوجد الإنسان وعنده طاقة إرادة يرجح بها بين المتقابلين ويختار من بين الضدين ، كلامه بإرادة وحركته بإرادة وعلمه بارادة إن الإنسان وحده يملك حرية الاختيار بشكل لا مثيل له بين أجزاء العالم المحسوس إنه يملك طاقة هائلة من الإرادة يرافقها طاقة هائلة من القدرة . إن علم الإنسان وإرادته وقدرته تدل بشكل واضح على تميز الإنسان وتشير إلى قدرة الخالق العظيم حين خلق الإنسان وأهم شيء فى الإنسان صفاته التى لا يمكن تعليلها إلا بأنها قبس من أمر الله وفى النفس آيات كثيرة تشير إلى أن الله هو الذى خلق كل صفة من صفاتها الخيرة أو الشريرة إنها آية تنطق بعظمة خالقها وقدرته.

وهكذا فإن مركز الإنسان فى هذا الكون بصفاته العليا دليل على الله . وفى النفس البشرية أخلاقها وعجائبها دليل على الله وهذا وحده كاف لتعرف به الله . وحقا فإن الطريق إلى الله هى آثاره التي تدل عليه وهى طريق وحيد والعقل والفكر والعلم شروط أساسية لسالك هذا الطريق . ولذلك كانت حكمة الله فى خلق الإنس والجن هى معرفته.

قال تعالى : ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ (١)

---

(١) سورة الذاريات/٥٦ .

الباب الثانى

الإنسان الروح والعقل والنفس

الفصل الأول

الروح الإنسانية

الروح الإنسانية نفخة من روح الله تؤكد مبدأ صلة الإنسان بربه وأصبح بهذه النفخة سيد الكائنات وخليفة الله وتجلت هذه النفخة فى فطرة الإنسان المؤمنة بالله وظهرت فى الإدراك الواعى للإنسان بما وهبه من عقل وما أعطاه وأودع فيه من إرادة الاختيار وقدرة العمل وتجلت هذه النفخة الروحية بما يتمتع به الإنسان من إمكانيات الضبط الذاتى للنفس الإنسانية وهو مناط التكاليف فى منهج الله فى افعل ولا تفعل .

والروح الإنسانية وهى من روح الله لا يدركها عقل بشرى ولا يصل إلى كنهها أى مخلوق مهما أوتى من طاقات وإمكانيات وحتى لو بلغ من العلم مداه . فلن يدرك ولن يتوصل ما هى الروح وأين توجد فى الجسم الإنسانى إنها غيب لا تدرك فهى طاقة الحياة فى داخله ومبعث الهدى فى نفسه ومصدر الإدراك فى عقله أين تكمن وفى أى جزء تستقر؟ إنها آية الله العظمى فتبارك الله أحسن الخالقين .

انظر أخى الإنسان فلابد أنك ترى الروح فى كل خلية من بدنك تبعث فى هذه الخلية الحياة والنشاط وإذا غادرتها وسلبت

منها توقفت الخلية عن أداء دورها وفارقت الحياة .

والبحث فى الروح أمر من الغيبيات لا يدركه العقل الإنسانى ، لكن الإنسان بعقله يدرك أن هناك شيئا خارقا يحرك جسمه ويرى كل لحظة هذه الآية العظمى ويتيقن الإنسان من وجودها حين يشاهد الموت والموت خروج الروح من الجسد فتتركه جثة هامدة لا حراك فيه ويكون مآل هذا الجسد إلى التعفن والتحلل ثم يعود الإنسان إلى أصله التراب إن الروح من أعظم الآيات التى تدل دلالة واضحة على عظمة الخالق وقدرته .

قال تعالى : ﴿**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**﴾[1] لم يتكرر لفظ الروح فى القرآن إلا قليلا ولكن استعماله كان متنوعا وقد وردت هذه الكلمة بما يفيد إفاضة الحياة من الله على الإنسان .

قال تعالى : ﴿**فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين**﴾[2]

وقال تعالى : ﴿**ثم سواه ونفخ فيه من روحه**﴾[3]

واستعملت كلمة الروح فى معنى مشابه للمعنى الأول وذلك للدلالة على خلق عيسى عليه السلام .

قال تعالى : ﴿**فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا**﴾[4]

وقال تعالى : ﴿**والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا**﴾[5]

---

(١) سورة الإسراء/٨٥ . (٢) سورة الحجر/١٢٩ . (٣) سورة مريم/٩ .
(٤) سورة مريم/١٧ . (٥) سورة الأنبياء/٩١ .

كما استعملت هذه الكلمة للدلالة على القرآن .

قال تعالى : ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا**﴾ (١)

ووردت كلمة الروح فى الدلالة على الوحى .

قال تعالى : ﴿**يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق**﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿**قل نزله روح القدس من ربك بالحق**﴾ (٣)

وقال تعالى : ﴿**نزل به الروح الأمين على قلبك**﴾ (٤)

ولكن فى جميع هذه المعانى لم ترد للدلالة على الجسد وحده أو الجسد مع الروح وهذا يدل على تميز الروح عن النفس فى لغة القرآن .

ومازالت مسألة الروح وستظل غامضة مجهولة مهما تقدمت الأساليب والوسائل العملية والتقنية وهذا برهان ساطع على عجز الإنسان .

فالروح من الأسرار الخفية التى لا يعلمها إلا رب البرية وإنها من أمر الله ولا يطلع على أمر الله أحد . إنها آية الاعجاز العظمى فى كيان الإنسان . ونتساءل الآن ألم يتوصل العلم إلى أسرار دقيقة عن تكوين الإنسان العضوى واستطاع الإنسان أن يكتشف أدق أجزاء الخلية لكن هل عرف الإنسان ما هى الروح وأين توجد ؟ والإنسان يملك الأجهزة الحديثة والمتقدمة جدا فى كل مجالات العلم فهل عرفوا مكنون الروح الإنسانية ؟ لا . ان هذا هو يقين التحدى

---

(١) سورة الشورى/٥٢ . (٢) سورة غافر/١٥ .
(٣) سورة النحل/١٠٢ . (٤) سورة الشعراء/١٩٣ .

الإلهى فى أن الروح هى من أمر الله . وأن الإنسان لن يتوصل إلى أمرها مهما بلغ من العلم لأن العلم الذى أعطاه الله للإنسان هو شىء لا يذكر وكم قليل جدا أمام تمام علم الله .

أما الحياة والتى هى آثار الروح فى الجسد الإنسانى فهى ذلك السر العجيب الذى لا تدرى عن كنهه شيئا سوى آثاره . والسؤال الذى لا يستطيع عقل بشرى أن يجيب عليه كيف تبعث الروح الحياة فى المادة التى بلا حياة . لكن الجواب الشافى والرد اليقين إنها إرادة الخالق وطلاقة قدرته ﴿**إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون**﴾ . إنه الله لا إله إلا هو خالق كل شىء وهو على كل شىء قدير .

قال تعالى : ﴿**أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون**﴾ [1]

وقال تعالى : ﴿**ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم**﴾ [2]

والروح الإنسانية لا تعلل إلا بالله وهى آية عظمى من آيات الله تدل دلالة مباشرة عليه . وفى الروح الإنسانية تتجلى آيات القدرة والعظمة للحق سبحانه وتعالى ولا سبيل لعقل بشرى أن يدرك كنه الروح ولا كيف تبعث الحياة فى مادة التراب إنها من معجزات الله فى خلقه .

---

(١) سورة النحل/١٧ .

(٢) سورة الكهف/٥١ .

الفصل الثانى

« العقل »

لقد شرف الله الإنسان وكرمه وميزه عن باقى المخلوقات . فكان من أعظم ما شرفه به وكرمه العقل الذى ألحقه بسببه بعالم الملائكة وتأهل به لمعرفة بارئه ومبدعه بالنظر فى مخلوقاته واستطاع بهذا العقل تحمل أمانة التكاليف فى منهج الله وبه يستدل على كل ما حوله من آيات الله الكبرى وبه استنبط العلوم وأدرك مواطن الخير والشر فكان نظر الإنسان فى نفسه وفيما أودع البارئ سبحانه فيه من العقل الذى به عرف الإنسان ربه . والعقل آية كبرى تشير إلى عظمة خالقه ومدبره ومصوره .

العقل الإنسانى شيء مدهش ومعجز فيه ملكات وقدرات لا سبيل لنا إلى الاستفاضة فى البحث فيها فالعقل هو مقر التدبير وفنون العلم وهو مستقر المعرفة وبصائر الحكمة وبه يتم التمييز بين الخير والشر .

ومن آيات العظمة فى العقل أننا لا نرى فيه سوى مادة هلامية طرية هشة ولا نسمع له حسا ولا نجس له مجسا ولا نشم له رائحة ولا ندرك داخله صورة . ومع ذلك فهو شيء عظيم آمر مطاع ومفكر ومشاهد للغيوب ومتوهم للأمور . والعقل يتسع لما ضاق

عن الأبصار . وما ضاقت عنه الأنفس ويؤمن بما غيبته حجب الله سبحانه .

والعقل موضع الحكمة ومعدن العلم كلما زاد علما زاد قوة ومع كل هذه الطاقات والقدرات التى أودعها الحق فى العقل إلا أنه عاجز عن معرفة نفسه ومقر بالجهل بها فهو عاجز مهين يريد أن يذكر الشيء فينساه ويريد أن ينساه فيذكره ويريد أن يسر فيحزن ويريد أن يغفل فيذكر ويريد أن يتنبه ويتيقظ فينسى ويغفل دلالة على أنه مغلوب مقهور جاهل بحقائق ما علم ، وهو مع ما دبر لا يدرى كم مدى صوته ولا كيف خروجه ولا كيف اتساق حروف كلامه ولا كم مدى مبلغ نظره ولا بكيف ادرك الأشخاص وكيف ركب نوره ولا كم قدر قوته ولا كيف تركبت إرادته .

والعقل مع جهله بنفسه عالم يميز بين لطائف التدبير ويغرق بين دقائق الأمور . ويدبر الأمور ويتوهم العواقب ويشير إلى الأحداث على اختلافها إن العقل مصنوع بصنعة متقنة وحكمة بالغة تدل على الخالق العظيم والعقل فى الإنسان هو مورد السلامة فإن استعمل الإنسان نور العقل فيما أمره الله به فاز بدار الكرامة وإن استعمله فى هوى النفس وأغراضها فقد خسر دار الكرامة وله فى الآخرة بئس المآب .

لقد ورد فعل العقل فى القرآن الكريم بمختلف اشتقاقاته وكلها تدل على التفكير فى الإنسان .

قال تعالى : ﴿**يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد**

ما عقلوه﴾[1]

وقال تعالى : **﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾**[2]

وقال تعالى : **﴿إن شر الدواب عند الله الصم الْبُكْمُ الذين لا يعقلون﴾**[3]

وقال تعالى : **﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير﴾**[4]

وكان ورود لفظ القلب فى القرآن بمعانى كثيرة وهى المعانى التى يقصد بها عمل العقل وأكثر هذه المعانى تدور حول المعنى الوجدانى ، والعقل فى الإنسان هو أساس الفطرة السليمة والعواطف المختلفة سواء ما يختص منها بالحب أو الكراهية ، والعقل محل الهداية والإيمان والإرادة والضبط والفهم .

قال تعالى : **﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾**[5]

وقال تعالى : **﴿إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾**[6]

وقال تعالى : **﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾**[7]

وقال تعالى : **﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم﴾**[8]

---

(١) سورة البقرة/٧٥ . (٢) سورة البقرة/٤٤ .
(٣) سورة الأنفال/٢٢ . (٤) سورة الملك/١٠ .
(٥) سورة الشعراء/٨٩ . (٦) سورة ق/٣٧ .
(٧) سورة التغابن/١١ . (٨) سورة الحجرات/٧ .

وقال تعالى : ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾[1]

ويشير القرآن إلى أن القلب ليس دائما محل الهداية والايمان بل قد يكون مكانا للإثم والمعصية .

قال تعالى : ﴿كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين﴾[2]

وقال تعالى : ﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾[3]

والقلب هو موضع العواطف المختلفة والمعنى به العقل وليس القلب البشرى الموجود فى الصدر .

قال تعالى : ﴿وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة﴾[4]

وقال تعالى : ﴿ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم﴾[5]

قال تعالى : ﴿سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب﴾[6]

ملكات العقل البشرى

١ ـ استعداده للبيان :

الإنسان كائن متميز بفطرته الإدراكية التى تتجلى بمقدرته على البيان ويشمل استعداد الإنسان لبيان مكنونات نفسه وشعوره عن طريق الإشارة والحركات والقسمات والملامح كما يشمل البيان الكلامى اللغوى الذى يعبر به عما فى نفسه ويستبين ما لدى غيره سمعا وسؤالا . ونقل ما لديه إلى غيره على مر الأجيال كتابة

---

(١) سورة النحل/١٠٦ .
(٢) سورة الحجر/١٢ .
(٣) سورة البقرة/٢٨٣ .
(٤) سورة الحديد/٢٧ .
(٥) سورة آل عمران/١٥٦ .
(٦) سورة آل عمران/١٥١ .

وتسجيلا .

قال تعالى : ﴿**الرحمن . علم القرآن . خلق الإنسان . علمه البيان**﴾ (١)

والبيان هو الاستعداد لدى الإنسان للنطق الذى يستطيع به أن يبين عن مقاصده ورغباته ويتميز به عن سائر المخلوقات فظاهرة البيان عند الإنسان هى من أعظم الظواهر فى الوجود فالإنسان بهذا البيان يعبر عن كل ما يجول فى خاطره وذهنه تارة أدبا وأحيانا كلمة وأخرى فلسفة وطورا منطقا ويكون هذا التعبير إما بهدوء أو بشدة أو بعاطفة أو عقل إن علم الإنسان وبيانه يدلان على الله مباشرة .

ويمكن تعريف الاستعداد عند الإنسان بأنه السرعة المتوقعة للتعلم فى ناحية من النواحى ومن هذه الاستعدادات الاستعداد الفنى والقيادى والاجتماعى . ويعتبر الاستعداد مظهر من مظاهر الشخصية الإنسانية إذا ما عرفنا الشخصية على أنها التنظيم الكلى للاستعدادات الديناميكية التى تميز الفرد .

قال تعالى : ﴿**اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم**﴾ (٢)

٢ ـ الكلام والكتابة والتعبير :

النطق نعمة بالغة أنعم الله بها على الإنسان ميزه عن البهائم بالكلام يعبر الإنسان عما فى ضميره ويفهم غيره ما فى نفسه ، ويتفاعل ايجابيا وسلبا مع ما حوله تنتقل المعرفة وتتواتر الأخبار

---

(١) سورة الرحمن/١ ـ ٤ .　　(٢) سورة العلق/٣ ـ ٥ .

والقدرة على الكلام هى من أهم الصفات والإمكانات لدى الإنسان ، وتعريف الكلام هو القدرة على استخدام الرموز نطقا وتعبيرا وذهنا فالإنسان يستطيع استخدام اللغة ليتذكر أو يسترجع الأحداث الماضية وليعالج الأشياء والأمور التى لا توجد فى حاضره وجودا واقعيا وكذلك ليسقط خبرته الماضية على المستقبل فالكلام قوة خارقة أودعها الخالق لدى الإنسان بها نال الدرجات العلى فى سلم الرقى البشرى إن لغة التخاطب بين أبناء البشر هى من أسمى صفات الإنسان بها يعبر عن انفعالاته السلوكية وبها يدرك أحداث الحياة المؤثرة حوله والكلمة هى مصدر الحضارات والرقى الذى توصل إليه الإنسان . ونعمة الكلام والتعبير نعمة كبرى لا يعرف قدرها إلا من حرم منها والمثال الشاهد أمامنا الشخص الأبكم ، وما يعانيه من ضعف التعبير وصعوبة الكلام فيبقى عاجزا محدود التأثير فيمن حوله ولا يستطيع أن يخوض فى بحور العلم أو يرد مناهل المعرفة ، فما افتقده من قدرة على الكلام يحول بينه وبين مواكبة ركب التعليم الإنسانى رغم أن ملكات عقله وقدرته على الفكر لم تتأثر .

والكتابة التى تنقل أخبار الماضين للباقين وأخبار الباقين للآتين وبها تخلد العلوم والأدب فى الكتب ، ويعلم الناس ما يجرى بينهم فى الحساب والمعاملات ولولا الكتابة لانقطعت أخبار الأزمنة السالفة ولما قامت حضارة أو تطورت العلوم ولولا الكتابة لضاعت الفضائل والمبادىء ولعظم الخلل بسبب عدم وجودها بين الناس .

إن الكلام والكتابة مكسب عظيم للإنسان ونعمة عظمى وهبها

وأودعها الخالق فى العقل البشرى الذى يسيطر على هذه القدرات ويحركها فهو المهيمن على جهاز النطق والكتابة . وهو الذى يحرك اليد والأصابع والكف المهيأ للكتابة فيجرى القلم بما يختلج به الذهن والفكر ولولا ذلك لما استطاع الإنسان أن يكتب أبدا . فسبحان المنعم عليه بذلك .

قال تعالى : ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾ (١)

وأجهزة النطق هى الأحبال الصوتية واللسان والحنجرة وكلها تعمل بصورة غاية فى الدقة والاتقان بتوجيه من العقل وأى عطب فى هذه الأجهزة يذهب النطق والتعبير ويجعل الإنسان بدون بيان ويبقى فكره وذهنه محبوسا بين جدران العقل ليس له مخرج أو طريق ، تجول داخل العقل أفكار فى علم وأدب وفضائل وانفعالات لكن طريق التعبير وقناته مغلقة فيذهب ما فى العقل هباءا رغم أنه قد يكون ذا جدوى أو نفع .

فما أعظم نعمة النطق والكتابة لدى الإنسان فهل لنا أن نشكر الله على هذه النعمة الكبرى مع كل حرف ننطق به وكل كلمة تلهج بها ألسنتنا وكل جملة تخطها أقلامنا نشكره على نعمه وآلائه ونعبده حق عبادته ونتقرب إليه دائما بالقول والفعل . لا نشرك معه أحد .

قال تعالى : ﴿وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون﴾ (٢)

---

(١) سورة الذاريات/٢٣ .

(٢) سورة الجاثية/٤ .

وقال تعالى : ﴿ألم نجعل له عينين . ولسانا وشفتين﴾[1]

٣ ـ التفكير والإدراك :

إن القدرة اللغوية هى ما يجعل الإنسان الكائن الوحيد الذى يمكنه أن يفكر فى الماضى وفى المستقبل وفى الحاضر الحسى وغير الحسى والإنسان بقدرته على التفكير استطاع أن يجرب عالم المعرفة والأدب واستطاع أن يكتشف أسرار الكون ومكنوناته وبالفكر الذى موطنه العقل الإنسانى استحق الإنسان لقب سيد هذا الكون وبهذا الفكر استنبط العلم والمعرفة التى بها خير الأشياء واستفاد من المسخرات له فى هذا الكون .

وتعتبر القدرة على التفكير من أهم السمات التى تميز الإنسان وتساعده قدرته اللغوية على الاستفادة من قدرته على التفكير فى أن يتعلم ليس فقط من خبرته بل أيضا من خبرة الآخرين الذين عاشوا فى الماضى وتساعده هذه القدرة فى التفكير على أن يتنبأ بما يمكن أن يترتب على سلوكه الخاص قبل أن يسلك وأن يكون له مثل عليا يسلك الطريق على أساسها وبالتفكير يستطيع الإنسان الاستفادة من الخبرة السابقة بما فى ذلك خيره لآخرين ويستطيع بالتفكير ، استحضار ما ليس له وجود فى الواقع المحسوس .

والتفكير والإدراك عنصران متداخلان فى العقل البشرى وذلك لأن التفكير يعنى ما يفكر فيه الناس ومن المؤكد أن أفكار الناس كثيرا ما تكون عن أشياء مدركة وكذلك التفكير يعنى حل المشكلات

---

(١) سورة البلد/٨ ـ ٩ .

والحكم على الأمور والمواقف وكثيرا ما تكون المشكلة تتضمن إدراك علاقات أو الحكم على أمر ما ، إن التشابه بين عمليات الإدراك وعمليات التفكير بصرف النظر عن مادة التفكير أو محتواه يؤكد أن هناك تشابه وظيفى بين التفكير والإدراك .

والإحساس هو الخطوة الأولى للإدراك السليم والإدراك ليس مجرد مجموعة أحاسيس بل هو أكثر من ذلك فالإحساس هو المنفذ الأول لمعرفة العالم الخارجى لكن الأمر فى العقل البشرى لا ينتهى عند حد الإحساس ولا يقف العقل جامدا سلبيا عند هذا الحد من الإحساس بل يتناوله العقل بالتفسير والتأويل ويضيف إليه من خبراته . والإحساس فى التكوين الإنسانى هو ناتج عن إثارة أعضاء الحس لدى الإنسان مثل السمع والبصر واللمس والشم والذوق والاحساسات التى تصدر عن هذه الحواس يترجمها العقل البشرى بقدرته العظمى إلى معانٍ وأفكار وانفعالات والإدراك هو ربط ما يحسه الإنسان ببعض خبراته الماضية حتى يعطى للإحساس معنى .

أليس الفكر هو بوتقة العلم التى بها انصهرت عناصر العلوم والمعرفة فخرج منها ألوان وابتكارات واختراعات لا حدود لها فارتقى الإنسان إلى الدرجات العليا من التقدم والتطور والنمو . وهل ما نحن فيه اليوم إلا نتاج الفكر الإنسانى وثمرة لا تقاد هذا الفكر وبعد بصيرته واتساع أفقه .

وكمال سمو الفكر الإنسانى يكون حين ينطلق هذا الفكر ينظر فى آيات الله فيدركها ويرى عظمة الله خالقه فى هذه الآيات التى تدل

على الله مباشرة .

ولقد أمرنا الله أن نتدبر آيات هذا الكون بالتفكير فيه لأن هذا الكون فيه آثار الله ويد الله التى خلقت هذا الكون أرت نفسها فى خلقها وإرادة الله التى خصصت ارث نفسها فى مبدعاتها وحكمة الله ظهرت فلم تَخْفَ ، وإن قلبًا لم ير آثار الله فى كل شىء لقلب أعمى .

فقمة التسامى فى الفكر الإنسانى حين ينظر فى آيات الله ويتدبرها ويرى أثار الله ساطعة فى كل ذرة فى هذا الكون ، ويدرك تمام الإدراك أن كل شىء فى هذا الكون ينطق بأن لا إله إلا الله الخالق العظيم وأنه مالك كل شئ . والعقل البشرى تهيأ وبه الطاقات التى يستطيع بها أن يعرف الله حق معرفته وأن يستدل عليه بالتفكير والنظر فى آياته . وأقرب طريق لمعرفة الله التفكير والتعرف على أثاره . وآثار الله ساطعة فى كل ما خلق وأوجد وهو سبحانه الذى يدعونا إلى النظر فى خلق الله لقد أعطى الله سبحانه وتعالى الإنسان قوة الفكر والتصور وبداهة الشعور والخيال فصار يتذوق الجمال ويسرح بخياله مخترقا حجب المنظور وحواجز الزمن وينفذ محلقا بخياله فى أرجاء الكون .

والإنسان لديه القدرة على التذكر فيسترجع لوحات الزمن التى خطت على صفحات ذهنه ونقشت بين طيات ذاكرته . كل هذا من قدرات العقل إلى جانب الإدراك الواعى والمحسوس الذى يجعله يتفاعل مع كل شىء فهو يهوى ويحب ويغضب ويكره ويصم ويمل . إن فى ذلك كله إبداعا ظاهرا كان أم باطنا .

إنه الفكر الإنسانى الذى يرسم الجمال فيبدع ويرى القبيح فيدرك معنى الجمال ويرى بذلك فى الكون جميل وأجمل وقبيح وأقبح ، فلن يعرف الجميل إلا بالقبح ولا يعرف الأجمل إلا بالجميل إن كل ذلك من ابداع الفكر الإنسانى الذى يدرك كل ذلك ويتذوقه ويفهمه ويعيه .

أليس فى الفكر الإنسانى وقدراته دليل إبداع ؟ فلا يفوت هذا الفكر أن يرى الإبداع وأن يتعرف على المبدع أو يعشق الجمال ويمتلىء قلب الإنسان بحب خالق الجمال .

قال تعالى : ﴿**بديع السماوات والأرض**﴾ [1]

فما أعظم الفكر الإنسانى وما أبلغ مداه هل من مبلغ لحدود الفكر الإنسانى إلا ما أراد الله أن يغيبه عن هذا الفكر ان علم الإنسان وإرادته وقدرته تدل بشكل واضح على تميز الإنسان عن المادة . والمادة لا يمكن أن تعطى الإنسان علما أو فكرا أو إدراكا بل الله وحده هو الذى يعطى كل هذا للإنسان .

والإنسان المفكر هو من استوجب عليه شكر الله على نعمة التفكير التى أصبح بها الإنسان سيد هذا الكون وخليفة الله فى الأرض . والفاقد لنعمة التفكير شقى فى هذه الحياة والأمثلة كثيرة وشاهدة أمام أعيننا نبصرها . وتلهج ألسنتنا بالشفقة عليهم وندعو لهم بأن يتم الله عليهم عقولهم . إن مرضى العقل الذين حرموا نعمة التفكير فتاهوا فى ركب الحياة وأصبحوا هائمين على وجوههم لا فرق

---

(١) سورة البقرة/١١٧ .

بينهم وبين بقية المخلوقات التى بلا تفكير يثيرون فى النفس اللوعة والألم لكل من شاهدهم حينئذ يدرك الإنسان نعمة العقل التى يتمتع بها فالفاقد لقدرة التفكير هو من اختلت دوافع الضبط النفسى لديه وفقد بذلك القدرة على التمييز بين الخير والشر.

ومن تمام عدل الله وكمال علمه أنه أسقط تكليف المنهج الإيمانى عمن فقد عقله لأن العقل هو مناط التكليف عند الإنسان والحق سبحانه وتعالى لم يوجب تكاليف منهجه إلا على من كان بالغا عاقلا فلم يوجب تكاليف منهجه على طفل أو مريض عقلى . أو من كان فى غيبوبة لأن العقل فى هذه الحالات عاطل لا يعمل .

أليس الإنسان بنعمة التفكير يسعد ويشقى ؟ وهل لنا أن ندرك قدر هذه النعمة علينا ونتوجه إلى خالق نعمة التفكير فنشكره على هذه النعمة الكبرى التى حبانا بها ونقر ونتيقن بمدى فضل الله علينا حين أسبغ علينا نعمة التفكير وحين حفظ علينا نعمة العقل الذى به يشقى الإنسان ويسعد ، بالعقل تحمل الإنسان الأمانة العظمى وبالعقل أصبح سيدا لهذا الكون وخليفة الله فى الأرض فهل بعد ذلك كله لا يشغل الإنسان فكره بحب الله والتقريب إليه عبادة واستغفارا وتوبة ؟

٤ ـ استعداده للتعلم :

يتميز الإنسان بقدرته واستعداده للتعلم وهذا يعتبر إحدى الخصائص الكبرى للإنسان وقابلية الإنسان للتعلم تؤثر عليها عدة عوامل فطرية أولية وعوامل مكتسبة أهمها :

١ ـ تكوين الجهاز العصبى الذى يمتاز بدقته وقدراته الجمة .

٢ ـ الحواس وهى أدوات الاستقبال لمادة التعلم عند الإنسان وهى التى تلتقط جميع المؤثرات التعليمية من حوله .

٣ ـ الذكاء الإنسانى الذى به يستطيع استيعاب الأفكار والمادة التى يلتقطها الإنسان .

٤ ـ قدرة خاصة فى اتقان اللغة والتى نجح بها آدم عليه السلام واللغة هى وسيلة التعلم وباللغة يستطيع نقل أفكاره ورغباته إلى غيره وقدرة الإنسان الفائقة فى فهم جميع أشكال اللغة وبشتى مراحلها ومستوياتها الإرشادية والتصويرية والكلامية والكتابية .

٥ ـ ملكات العقل العليا التى وهبها الله للإنسان وهى الانتباه والتذكر والتصور والحفظ والتخيل وهذه صفات وخصائص ينفرد بها الإنسان .

٦ ـ المجتمع الإنسانى الذى يحيط بالإنسان ويدفعه إلى التقليد ويساعده على التقاط المعرفة والعادات والعلوم فيلتقط الصغير عن الكبير وتنتقل العادات والمعارف والعلوم من جيل إلى جيل ومن مكان إلى مكان .

والعلم بتعريفه البسيط هو أن تدرك نسبة . وهذه النسبة واقعة تجزم بها وعليها دليل وعناصر العلم ثلاثة نسبة يجزم بها من علمها ويجزم بها من كونها واقعة ويستطيع أن يدلك عليها ذلك هو العلم وإذا كان هناك نسبة ويجزم بها من علمها وهى واقعة ولكنه لا يستطيع أن يدلك عليها فذلك هو التقليد أما إذا كانت النسبة

المعلومة مجزوما بها وليست واقعة فإن ذلك هو الجهل فالجهل إذا علم نسبة مع الجزم بها ولكنها مخالفة للواقع . أما إذا كانت النسبة غير مجزوم بها فاذا تساوى الايجاب والاثبات فذلك هو الشكك أما إذا رجح أحدهما فالراجح هو الظن والمرجوح هو الوهم .

واستعداد الإنسان للتعلم نعمة عظمى وهبها الله له بها يستطيع أن يواجه المشكلات التى يقابلها وينفعل بها وتتميز هذه المشكلات بأنها حلقات فى عملية معقدة من التكيف والتوافق مع الظروف المتغيرة . وإذا كانت المشاكل التى يواجهها الحيوان هى مشاكل مكانية تتطلب انفعالات محددة وسلوكيات خاصة وذلك يرجع فى جوهره إلى أن الحيوان يتعامل مع مثيرات مادية مباشرة لكن الإنسان يتميز عن الحيوان بالسلوكيات الفكرية والعقلية والتى يتحكم بها العقل والفكر ، فالسلوك الإنسانى لغوى فى أسبابه فكان من تمام علم الله سبحانه وتعالى أن أول درس علمه آدم هو الأسماء كلها .

قال تعالى : ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها**﴾ (1)

ويعتمد الإنسان فى حياته كلها على الظاهرة الاجتماعية المسماة « باللغة » وتتضمن هذه الظاهرة العجيبة على كل نواحى الانفعالات النفسية والقدرات العقلية للإنسان فاللغة هى نمط السلوك الرمزى الذى يتضمن الإشارة إلى الأشياء والأفكار والمعانى والمشاعر والانفعالات والاتجاهات والقيم . كما أن اللغة هى وسيلة

---

(1) سورة البقرة/٣١ .

الإنسان فى انتقال العالم الخارجى إليه وهى وسيلته فى الإضافة إلى التراث الفكرى والعلمى والثقافى والحضارى .

ويكفى الإنسان اللغة التى تميز بها عن باقى المخلوقات واللغة فرق أصيل يجعل الإنسان فئة سلوكية مميزة والحيوان فئة سلوكية أخرى أضف إلى ذلك ما وهب الله الإنسان من قدرات عقلية ونشاط معرفة يتمثل فى الإدراك والتعلم والتذكر والتفكير بأنواعه وأنماطه وفئاته المختلفة وهذه كلها ما نسميه عمليات المعرفة لدى الإنسان وتشمل الوعى بالمعلومات واكتشافها اكتشافا مباشرًا أو إعادة اكتشافها أو التعرف عليها وتشمل بذلك عمليات التعلم والذاكرة .

والواقع أن سلوكيات الإنسان وما يصدر عنه من انفعالات يمكن اعتباره نتيجة تعلم سابق ، والوراثة البيولوجية لا تكفى وحدها كى يتعلم الإنسان فلابد أن يتم التفاعل بين الفرد والبيئة تفاعلا يهتدى الإنسان من خلاله ويتعلم أثناءه أكثر ما يصدر عنه من سلوك ويلاحظ أن التعلم يشتمل على أنواع متفاوته فنحن نتعلم لهجة معينة وكذلك القدرة على استخدام الأشياء كما نتعلم كيف نثق بأنفسنا وكيف نستمع إلى الناس ونتحدث معهم والتعلم هو تغير فى الأداء وهو تعديل السلوك عن طريق الخبرة والممارسة ويدل هذا على أن التغيرات التى تطرأ على الأداء تحدث أثناء عملية إشباع الدوافع وبلوغ الأهداف وعملية إشباع الفرد لحاجاته تشمل :

١ ـ العادات والمهارات .

٢ ـ المعلومات والمعانى .

٣ ـ السلوك الاجتماعى .

٤ ـ السلوك الذى يميز بعض الأفراد عن بعضهم .

والتعلم عملية معقدة تستغرق حياة الإنسان من ولادته وحتى مماته وقد لا يدرك الإنسان من العلم شيئا وقد ينهل من العلم الكثير وقد يخوض فى بحور ويقف على أدق معلومات لكنه يبقى عاجزا ضعيفا لا يبلغ للعلم مبلغا ولا يدرك للمعرفة مدى فيقعد به ضعفه عن بلوغ مدى العلم ولا يسعفه عقله فى إدراك واستيعاب علوم الله وكلماته . وحتى لو ابتكر الأجهزة الحديثة وطور التقنية المتقدمة التى بها يزيد من مدى قدرات عقله الاستيعابية فإن الإنسان لا يتعلم إلا القليل جدًا من علوم الله .

قال تعالى : ﴿**وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**﴾[١]

ولذلك فإنه من الصعب جدا وضع تعريف شامل لعملية التعلم لدى الإنسان والله حين أودع فى الإنسان استعدادا للتعلم إنما كان من تمام علم الله وإرادته التى أهلته لدوره فى خلافة الأرض وعمارتها . وهذا الاستخلاف فى الأرض قائم على أهليته الإنسان له بما وهبه الله من قدرات وطاقات ومنها قدرته على التعلم فجعل الله بيان قابلية الإنسان للتعلم دليلا على أهليته لخلافة هذه الأرض ويكفى الإنسان ما تشرف به حين كان الله هو المعلم الأول والمربى الأول له ومن تمام وطلاقة القدرة الإلهية أن جعل الله منهاج التعلم للإنسان تعلمه الأسماء كلها وهذا المنهاج لم يتغير ولم يتبدل منذ أن خلق الله الأرض وآدم حتى يرث الله الأرض ومن عليها فقد تعاقبت

---

(١) سورة الإسراء/٨٥ .

الأجيال وتعددت الأجناس واللغات لكن منهاج الله حين علم آدم الأسماء واحد لم يمسسه تغيير ولا تبديل ، وها هو الإنسان فى مختلف بقاع الأرض وعلى اختلاف ألسنة البشر يجد فى مبدأ وطريقة تعلم الإنسان منهاج واحد لا اختلاف فيه يبدأ الطفل فى تعلم الأسماء ثم يتدرج فى تحصيل العلم والنهل من مصدره اكتساب المعرفة فهل شذ أو حاد مخلوق واحد من ذرية آدم عن هذا السبيل فى التعليم .

والشواهد على ذلك أنفسنا وأبنائنا وآلاف وملايين الأطفال الذين يولدون يوميا ثم تبدأ رحلة تعلم الأسماء كما وضع منهاجها الحق سبحانه وتعالى فهل خلق إنسان حتى يومنا هذا لم يمر برحلة تعلم الأسماء ؟ وهل ولد طفل ولديه فنون العلم والمعرفة ولم يمر على تعلم الأسماء قبل أن يكتسب العلم والمعرفة ؟ وهل ولد طفل يناقش فى نظريات العلم وهو لم يتعلم أسس قواعد اللغة التى أرسى قواعدها الحق سبحانه وتعالى ؟ وهل نطق طفل بنظريات الحساب قبل أن ينطق باسم أمه وأبيه ثم أسماء ما حوله ؟ أليست هذه آية إعجاز تدل على من وهبها للإنسان وتدل دلالة واضحة على تمام علمه وطلاقة قدرته : إنه الله خالق كل شىء .

وكانت أولى دروس تعليم الإنسان حين علمه الحق الأسماء كلها ثم أجرى له الامتحان الأول فطلب الله من آدم أن ينبىء الملائكة بأسماء الأشياء كلها ونجح آدم بالاختبار .

قال تعالى : ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤنى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما**

أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وماكنتم تكتمون﴾[1]

ودليل إعجاز تجلى فى نزول القرآن الكريم أن أول كلمات الوحى الإلهى لرسول الهدى « ﷺ » وهى « اقرأ » وهذا يبين مدى أهمية العلم والتعليم فى حياة الإنسان وكان درس الوحى الإلهى الأول هو القراءة بأسمى معانيها وأجل مفاهيمها إنها القراءة باسم الله الخالق العظيم الذى علم الإنسان ما لم يعلم .

قال تعالى : ﴿**اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم﴾**[2]

أليس هذا أعظم تكريم للإنسان حين كان المعلم الأول له هو خالقه أليس هذا أعظم تشريف وأجل تكريم ؟

إن ما يتمتع به الإنسان فى استعداده للتعلم يعتبر من أعظم النعم التى أسبغها الله على الإنسان ، ونظرة متمعنة للنفس البشرية تدرك عظمة ما وهب الله الإنسان فى قدرات فطرية تساعده على استيعاب العلم .

إنها آية إعجاز حين علم الله الإنسان بالقلم وحين علمه ما لم يعلم إنها تدل مباشرة على الخالق العظيم الذى خلق الإنسان وأودع فى عقله القدرة على التعلم إنها طلاقة القدرة الإلهية حين خلق الإنسان الحى الناطق مما لا حياة فيه ولا نطق ولا شكل ولا صوره . إنها

---

(١) سورة البقرة/٣١ ــ ٣٣ .
(٢) سورة العلق/١ ــ ٥ .

مشيئة الله القادرة التى علمت الإنسان أفضل العلوم وحين أعطاه المقدرة على الكتابة والقراءة .

وهكذا يجب علينا أن ندرك أن الأمر بيد الله والعلم من الله ومن الله يستمد الإنسان كل ما علم وكل ما سوف يعلم . والله رفع الإنسان بالعلم وشرفه وكرمه ، والعلم هو القدر الذى امتاز به أبو البرية آدم عليه السلام على الملائكة .

وما استهل به وحى السماء إلى رسول الهدى فى منهج الإسلام آيات عظيمة تتضمن معانى كريمة وعظيمة .

قال تعالى : ﴿**اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم**﴾[1]

هذه الآيات جاءت بأعجب وأعظم جمال وأوجز بيان لتاريخ التمدن والتحضر البشرى على وجه الأرض . وقول الحق اقرأ تأكيد للقراءة وأهميتها وحين كرر الحق كلمة اقرأ تمام تأكيد الحق أن القراءة لا يكتسبها الإنسان ولا يتغلب عليها إلا بالتكرار والتعود .

وآية إعجاز أخرى وهبها الله للإنسان حين أعطاه القدرة على الكتابة بالقلم فسبحان من منح هذه القدرة للإنسان . وسبحان الذى جعل القلم واسطة التفاهم بين الناس على بعد الشقة وتباعد الأزمان والقلم آلة جامدة لا حياة فيها وليس من شأنها الكلام والإفهام لكن الله بعظيم قدرته جعل من هذا الجماد الصامت آلة

---

(١) سورة العلق/١ ــ ٥ .

للفهم والبيان فهو عز وجل وحده الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم .

والقلم كان ومازال وسوف يبقى أوسع وأعمق أدوات التعليم أثرا فى حياة الإنسان ومهما اختلفت الألسن ومهما كان لكل أمة لسان ولكل أمة قلم وبيان ، يبقى الأمر اليقين أن البيان باللسان والبيان بالقلم كل ذلك من نعم الله فما أوسع كرم الله وما أغزر إحسانه على بنى الإنسان .

بالقلم دونت علوم الله . وبه سجلت أخبار الأولين والآخرين ، ومن خط القلم وجدت الحضارات ومن أثر القلم استقراء كل العلوم استحضر أخبار العصور الغابرة حين اكتشف الكتابات القديمة التى كتبت بقلم الأمم السالفة . فما كان لإنسان أن يستحضر أخبار الأولين لولا أثر القلم الذى به سجل الأولين أخبارهم وعلومهم وأدبهم . وبالقلم نقلت العلوم والأداب من مكان إلى مكان رغم اختلاف الألسنة والألوان فما أعظم أثر القلم فى حياة الإنسان .

بالقلم سجل الإنسان مشاعره وأماله وأحلامه وفنون أدبه وحقائق علمه فالقلم أداة التطور والتقدم فى حياة الإنسان بالقلم ارتقى فى درجات العلم وبالقلم اكتشف واخترع كل ما توصل إليه من آلات وأجهزة حديثة .

الفصل الثالث

النفس البشرية

الإنسان مخلوق متميز وفريد فى وظيفته وغاية وجوده وفريد فى مآله ومصيره إنه مخلوق غير مكرر وهو مخلوق بقدر فلم يخلق الإنسان عبثا لكنه خلق لغاية وهو أن يكون سيد هذه الأرض بخلافته فيها عن الله وكل ما فيها مسخر له بقدرة الله تعالى وهو مخلوق ضعيف تغلبه شهواته ويحكمه هواه ويلازمه جهله ، وأول مظاهر ضعف الإنسان كما أوردنا هو فى خضوعه لإغراء الشهوات ووساوس الشيطان .

والنفس البشرية مكنون عميق ليس من السهل استجلاء كل بواطن الخفاء والتعقيد فى جوانبها المحيرة والمدهشة .

ومنهج الله دائما يتعرض إلى مواجهة الإنسان بحقائق عن تكوينه النفسى وخاصة ماكان خافيا فى مكنونها وأسرار انفعالاتها ومازال الإنسان يجهل الكثير عن تركيب هذه النفس .

والنفس البشرية هبة من الله للإنسان كرمه بها .

قال تعالى : ﴿**ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها**﴾[1]

---

(١) سورة الشمس/٧ ـ ١٠ .

يتضح لنا مدى تكريم النفس البشرية حين أقسم الله بها . إن هذا القسم عظيم فلا يليق بالنفس أن تنسى خالقها أو تستهين بوجودها أو أن تهبط بانفعالاتها وسلوكها وأخلاقها فالنفس هى عنوان كرامة الإنسان وجوهره الأصيل .

الإنسان مخلوق بيد الله فهو مكشوف الكنه والوصف والسر لخالقه العظيم الذى يعلم نشأته وحاله ، فالنفس الإنسانية مكشوفة عارية لا يحجبها ستر عن خالقها وهى فى قبضة الله وهو أقرب إليها من حبل الوريد فرقابة الله المباشرة على النفس الإنسانية أمر لا يدركه العقل ولو استحضرنا مدلول هذه العبارة وحدها ما تجرأ مخلوق على أن يلفظ حرفا يغضب الله ، وقد وردت كلمة النفس فى القرآن الكريم على صور متعددة وهى تدل على الإنسان ككائن حى ذى أصل واحد ووردت أحيانا للدلالة على طوية الإنسان وجوهره .

قال تعالى : ﴿**واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا**﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿**لا تكلف نفس إلا وسعها**﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿**قوا أنفسكم وأهليكم نارا**﴾ (٣)

وقال تعالى : ﴿**وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين**﴾ (٤)

وقال تعالى : ﴿**إنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا**﴾ (٥)

---

(١) سورة البقرة/٤٨ .
(٢) سورة البقرة/٢٣٣ .
(٣) سورة التحريم/٦ .
(٤) سورة الزخرف/٧١ .
(٥) سورة المائدة/٣٢ .

وقال تعالى : ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ (١)
قال تعالى : ﴿ولقد راودته عن نفسه فا استعصم﴾ (٢)
ووردت كلمة النفس فى القرآن الكريم للدلالة على الذات الإلهية .
قال تعالى : ﴿ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد﴾ (٣)
وقال تعالى : ﴿واصطنعتك لنفسى﴾ (٤)
وقال تعالى : ﴿تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك﴾ (٥)
وقال تعالى : ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ (٦)
ووردت كلمة النفس للإشارة إلى ضمير الإنسان وطويته .
قال تعالى : ﴿ربكم أعلم بما فى نفوسكم إن تكونوا صالحين﴾ (٧)
وقال تعالى : ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (٨)
وقال تعالى : ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ (٩)
وكذلك وردت كلمة النفس للدلالة على النفس كأمر خالص بالإنسان .
قال تعالى : ﴿لا أقسم بيوم القيامة . ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ (١٠)

---

(١) سورة البقرة/٢٢٨ . (٢) سورة يوسف/٣٢ .
(٣) سورة آل عمران/٣٠ . (٤) سورة طه/٤١ .
(٥) سورة المائدة/١١٦ . (٦) سورة الأنعام/٥٤ .
(٧) سورة الإسراء/٢٥ . (٨) سورة الرعد/١١ .
(٩) سورة ق/١٦ . (١٠) سورة القيامة/١ ــ ٢ .

وقال تعالى : ﴿**وما أبرى نفسى إن النفس لأمارة بالسوء**﴾[1]

وقال تعالى : ﴿**يا أيتها النفس المطمئنة . ارجعى إلى ربك راضية مرضية**﴾[2]

وقال تعالى : ﴿**وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى**﴾[3]

وهكذا فالنفس فى القرآن تدل على الذات الإنسانية وتشير إلى عنصر الدوافع والنشاط الحيوى أكثر من دلالتها على المعنى الواعى وهى لفظ عام يشمل الإنسان كله ولا يختص بالدلالة على التفكير أو الفهم .

والنفس البشرية والتى نعنى بها الإنسان وفعاليته ونشاطه لها علامات وسمات كثيرة أوردها القرآن الكريم فكانت أعظم تحليل نفسى عرضه التاريخ لهذه النفس كيف لا يكون أعظم تحليل والذى أخبرنا بذلك هو خالق النفس والعالم بكنهها وأحوالها لا يخفى عنه ظاهرها ولا باطنها فعلم الله محيط بهذه النفس يعلم ما تسر وما تعلن .

قال تعالى : ﴿**أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون**﴾[4]

وقال تعالى : ﴿**إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون**﴾[5]

وقال تعالى : ﴿**ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم**﴾[6]

وحالات النفس كما أوردها القرآن الكريم هى : -

---

(١) سورة يوسف/٥٣ . (٢) سورة الفجر/٢٧ - ٢٨ .
(٣) سورة النازعات/٤٠ . (٤) سورة البقرة/٧٧ .
(٥) سورة يس/٧٦ . (٦) سورة التوبة/٧٨ .

١ ـ النفس الأمارة بالسوء :

إن هذه النفس ضعيفة جاهلة تنقاد إلى الحس الظاهرى وتميل إلى الغرور والتعالى والأنانية ولا تعير للقيم والمبادئ والأخلاق والدين أى اهتمام ولا مكان للمثل والفضائل داخلها . وهذه النفس شريرة لا تقنع ولا تشبع تطلب دائما المزيد فهى لا تسكن ولا تهدأ عن طلب الأهواء ولا تزهد فى شهوة وإذا تحقق لها ما تريد طلبت المزيد دافعها فى ذلك الطمع ويحركها التعالى فتنحرف هذه النفس ويصبح حب السيطرة سلوكها ، والبطش حالها والحقد والغضب معدنها والشهوة سلطانها . وتكون نهاية صاحبها الخسارة والضلال لا محرك لها إلا الشيطان الذى يمسك بلجام هذه النفس ويقودها حيث يهوى . وأحوال هذه النفس دائما غير مستقيمة ومنحرفة شاردة عن ضالة الهوى .

وهى غير متوازنة مشتتة الأهداف والمقاصد ليس أمامها بصيص من نور يهديها فى ظلمات الضلال المحيط بها وتنطبق عليها أوصاف مختلفة مثل الضالة أو الشرهة أو الفاسقة أو الشريرة أو غير السوية .

وقد عنى الإسلام بعلاج النفس الأمارة بالسوء . ولعلاج هذه النفس يجب البدء بعملية تخلصها من الصفات المذمومة ثم تحليتها بالصفات الحميدة ويتم ذلك بالمجاهدة والتوبة والندم والاستغفار .

ويجب أن نعلم أن الإنسان مخلوق مزدوج الطبيعة مزدوج الاستعداد ومزدوج الاتجاه ونعنى بذلك أنه بطبيعة تكوينه مزود باستعدادات متساوية للخير والشر والهدى والضلال وفى النفس

البشرية استعدادات فطرية كامنة قادرة على توجيه النفس إلى الخير والشر.

قال تعالى: ﴿**ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها**﴾ (١)

وهذه القوة هى ما نعبر عنها بإرادة الاختيار. وهى التى توقظ هذه الاستعدادات وتشحذها ولكنها لا تخلقها لأنها مخلوقة أصلا مع فطرة الإنسان وهذه القوة هى مناط التبعة فمن استخدم هذه القوة فى تزكية نفسه وتطهيرها وتنمية استعدادات الخير فيها فقد أفلح وفاز بخير الدنيا ونعيم الآخرة ومن ظلم نفسه واختار طريق الشر فقد خاب وخسر نفسه فى الدنيا ونال جزاءه الأوفى فى الآخرة مثواه نار جهنم وبئس المصير.

قال تعالى: ﴿**قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها**﴾ (٢)

وإرادة الاختيار التى يناط بها توجيه الاستعدادات الفطرية فى النفس البشرية إما للخير أو للشر فهى حرية تقابلها تبعة وقدرة يقابلها تكليف ومنحة يقابلها واجب. ورحمة وعدل من الله فقد أعان الإنسان على تعريفه بمنهج الله فأنزل له الرسالات السماوية حددت له دلائل الهدى وكشفت له موجبات الايمان وجلت عنه غواشى الهوى فأنار بذلك طريق الخير لا غبش فيه ولا شبه وترك بعد ذلك للنفس أن تختار بمحض إرادتها وتتصرف ببصيرة واضحة وإدراك واعى لحقيقة الاتجاه الذى تختاره.

ولقد خلق الله الإنسان ولم يتركه دون رقابة أو متابعة، فما من

---

(١) سورة الشمس/٧.

(٢) سورة الشمس/٨.

نفس إلا عليها حافظ يراقبها وهو موكل بها بأمر الله فالبشر ليسوا مطلقين إذا فى الأرض بلا حارس ولا مهملين يغفلون كيف شاءوا بلا رقيب إنما هناك الرقيب العتيد والحافظ الأمين الذى يدون عن النفس كل أفعالها وخلجاتها وحركاتها وعلى ذلك سوف يكون الحساب يوم الجمع الأعظم .

قال تعالى : ﴿**إن كل نفس لما عليها حافظ**﴾[١]

فالنفس البشرية ليست خلوة ولا تغيب لحظة واحدة عن رقابة القبضة المالكة والرقابة المباشرة لخالقها .

قال تعالى : ﴿**ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد . إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**﴾[٢]

حسبنا بنى الإنسان أن نعيش فى ظلال هذه الحقيقة وندرك فنذكر كل لحظة ومع كل حركة أو قول أن هناك رقيب عتيد يسجل علينا لتكون فى سجل حسابنا بين يدى الله الذى لا يضيع عنده شىء .

قال تعالى : ﴿**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى . وأن إلى ربك المنتهى . وأنه هو أضحك وأبكى**﴾[٣]

إنها آيات تذكرة وتنبيه على النفس أن تستحضرها فى كل حين كى تبقى فى الحضرة الإلهية وكلنا توجس وحذر وخوف .

---

(١) سورة الطارق/٤ . (٢) سورة ق/١٦ ــ ١٨ .

(٣) سورة النجم/٣٩ ــ ٤٣ .

والحق فى كتابه المبين يذكرنا أن النفس هى التى سوف تحاسب وهى التى تتلقى الجزاء.

قال تعالى: ﴿**ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد. وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد**﴾[1]

إنها حقائق إيمانية وتمام عدل إلهى حين أوكل على النفس حافظ يحفظ عنها كل شيء فلا يضيع من السعى والعمل مثقال ذرة. إنه من تمام عدل الله أن جعل لكل نفس رقيب عتيد يحفظ عنها كل ما يأتى به من قول أو فعل ويسجله فى كتاب ثم يأتى يوم القيامة وكل مخلوق يحمل كتابه بيده. ومن كان يحمل كتاب أعماله فى يمينه فقد فاز ومن كان يحمل كتابه بشماله فقد خزى وخسر. ثم توفى كل نفس وتحاسب على ما جاء فى كتاب أفعالها، ذلك الكتاب سوف يذهل النفس حيث لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من أفعال الإنسان فى الحياة الدنيا ويومها تنكشف حقائق النفس ظاهرها وباطنها ويحاسبها الحق بما جاء فى كتاب حياتها الدنيا. وحينئذ لا سبيل لها من انكار أو مراوغة حيث سوف تشهد على النفس جوارح الجسد وأعضائه يومها ينطقها الحق لتشهد بما فعلت فى الحياة الدنيا من خير أو شر.

قال تعالى: ﴿**ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون. حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون. وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون**﴾[2]

---

(١) سورة ق/٢٠ ـ ٢١.

(٢) سورة فصلت/١٩ ـ ٢١.

والنفس الإنسانية ذكرت فى القرآن الكريم كما أسلفنا بجميع قواها ومنها النفس الأمارة بالسوء والتى شرحنا عناصرها المنحرفة وشرحها علم النفس على أنها تقابل قوة الدوافع الفطرية « الغريزية » الطاغية وغير المنضبطة والتائهة الضالة . لكن القوة الواعية فى النفس هى التى تقابل النفس الملهمة .

قال تعالى : ﴿**وما أبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء**﴾ (١)

وقوة الضمير فى علم النفس تقابل النفس اللوامة وهى التى يقع منها الحساب كما يقع عليها .

قال تعالى : ﴿**لا أقسم بيوم القيامة . ولا أقسم بالنفس اللوامة**﴾ (٢)

والنفس البصيرة والعالمة كما ذكرها القرآن هى النفس العالمة والمبصرة لأفعالها .

قال تعالى : ﴿**بل الإنسان على نفسه بصيرة . ولو ألقى معاذيره**﴾ (٣)

أما قوة الايمان والثقة بالغيب والسكينة والاطمئنان فهو فى النفس المطمئنة .

قال تعالى : ﴿**يا أيتها النفس المطمئنة . ارجعى إلى ربك راضية مرضية**﴾ (٤)

وجميع قوى النفس البشرية تجمعها خاصة واحدة هى الإنسان الكائن المكلف .

---

(١) سورة يوسف/٥٣ . (٢) سورة القيامة/١ ـ ٢ .
(٣) سورة القيامة/١٤ ـ ١٥ . (٤) سورة الفجر/٢٧ ـ ٢٨ .

قال تعالى : ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾[1]

وقال تعالى : ﴿يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا﴾[2]

وقال تعالى : ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿علمت نفس ما قدمت وأخرت﴾[4]

جدير بنا أن نفقه هذه الحقائق عن النفس البشرية وترتيب هذه القوى داخل الذات الإنسانية وحرى بنا أن ندرك عمل كل من هذه القوى فى تميز الإنسان بمنزلة الكائن المسئول . فالإنسان يعلو على نفسه ويعلو على عقله بروحه فيكون بجانب النفس بقوى الغرائز الحيوانية ودوافع الحياة .

ويتصل من جانب الروح بعالم البقاء وسر الوجود الدائم بالإيمان والإلهام .

٢ ـ النفس اللوامة :

وهى النفس التى تلوم صاحبها وتحاسبه عند وقوع الإثم وهذه النفس يختلط داخلها الخير والشر فهى فى صراع دائم بين ما يجب أن تفعله وما يجب أن لا تفعل تتغلب الطاعة على سلوكها تارة وتهيمن عليها وتجرفها المعصية تارة أخرى وتبقى النفس اللوامة فى صراع حتى ينتصر أحد الأمرين .

قال تعالى : ﴿لا أقسم بيوم القيامة . ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾[5]

---

(١) سورة المدثر/٣٨ . (٢) سورة آل عمران/٣٠ . (٣) سورة الأنبياء/٤٧ .
(٤) سورة الانفطار/٥ . (٥) القيامة/١ ـ ٢ .

والفوز العظيم لهذه النفس حين تنتهج سبيل الخلاص وتهتدى بالاستقامة وأعمال البر وتتحلى بالصبر على البلاء وحين يصبح الخوف من الله والتوكل عليه فى السراء والضراء هو جميع أعمالها وتغنم هذه النفس حين تعرض عن أفعال الشر الخبيثة وتجاهد فى تجنب الأهواء وتبتعد عن مهاوى الضلال ونبذ مسلك الأنانية والحقد والفساد. إن هذه النفس حين تنتهج سبيل الهداية ترتقى وتتسامى ولا تبقى على حالة الندم على ما اقترفته فى الآثام.

٣ ـ النفس الطائعة والملهمة :

إنها النفس التى صدقت وآمنت وامتثلت وأطاعت وهى النفس التى تجاهد الهوى والضلال فلا تتقاعس عن خوض معارك النفس ضد الفساد والطغيان وطبع هذه النفس المحاسبة الدائمة فتتمسك بالقيم العليا من خير وبر وفضيلة وهى عاملة عابدة لله طائعة خالصة لوجهه الكريم لا تنشد سوى رضى الله ورضوانه ولا تبغى سوى الخير ولا تسلك سوى سبيل الهدى فترقى هذه النفس وتتسامى بالصالحات فى الأعمال حتى تحظى بالدرجات العليا بفضل الله.

٤ ـ النفس المطمئنة :

إنها النفس التى لا ترى غير الفضيلة مبدأ ولا تختار غير الخير بديلا فأملها بالله خالقها وهاديها ومتوكلة عليه أبدا راضية بما يرزقها من خير أو شر تجاهد أبدا وعملها الدءوب الخير والبر وترضى بما أعطاها الله من نعم غير معترضة على ما يصيبها من امتحان أو ابتلاء هذه النفس تسعى أن تحظى بالمقامات العليا فحالها دائما ظاهرا

أو باطنا الخير والبر والإحسان ومستقرها دائما فى مقام السكينة تسترشد دائما بنور الهدى فى ظلمات النفس لا تكل ولا تمل من تقديس الذات الإلهية والشكر على نعم الله وآلائه خائفة وجلة من حضرة الله . صفاتها المميزة الجلد والصبر والتواضع والتسامح والحياء لأنها لا ترى فى مادية الكون معنى يستحق الاهتمام فشغلها الشاغل رضى الله وعبادته وطاعته .

قال تعالى : ﴿**يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما**﴾[1]

تعرف هذه النفس بطول الصمت وتواصل الفكر وخفض الصوت والبعد عن التلاعب والصخب وطبع هذه النفس التأنى والاتقان والإحسان بما يعهد لهم من أعمال وتعرف أخلاقهم بالدماثة ولين الطبع والصدق والوفاء والاعتدال فى الأخذ من كل شىء وصفة هذه النفس السكينة أى أن هذه الأنفس تحكم وتسوس أهوائها وهذه الصفة تدل على انسجام عناصر النفس والتوافق بين متناقضاتها وهى منقادة فى خضوع وسلاسة لصاحبها . ونرى سيماهم على وجوههم . فسمة هذه النفس السكينة والهدوء فى صفحة الوجه ليس هدوء السطح بل هدوء العمق والباطن . وهذه النفس أخلاقها الدين تجاهد الشهوات حتى تحكمها وتخضعها ولا سلطان للهوى فى أرجائها وليس للنزوات من ميلاد فى جنباتها فهى ترى أن اللذات الدنيوية زائلة لا تساوى شيئا وان الحياة الدنيا مجرد دار

(١) سورة الفرقان/٦٣ .

عبور ومواطن امتحان وهى موقنة أن البقاء والخلود فى الحياة الآخرة . وهذه النفس تجعل من الحياة الدنيا مصدر تزود بزاد التقوى وهى عالمة أنها سوف تلاقى محضرا يوم الجمع الأعظم وهى لا تطلب ولا تسعى إلى جزاء الدنيا لكنها تعمل كى تنال الجزاء الأوفى عند خالقها يوم تجزى كل نفس بما كسبت .

وهذه النفس لا تفرح لكسب ولا تتأسى على خسران وإذا داهمها مكروه استوثقت بأمر الله فقالت : ـ

قال تعالى : **﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾** (١)

وقال تعالى : **﴿ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور﴾** (٢)

والنفس المطمئنة تواقة فرحة للقاء وجه ربها دون رهبة أو وجل وتتغنى بلقاء ربها تستعجل الموت لأن فيه الجزاء الأوفى والخير الدائم وترضى بأجلها كى تزداد وتتواصل فى عبادة الله وشكره وطاعته تعلم وهى واثقة متيقنة أن لكل نفس أجلاً ولا تستقدم ساعة ولا تتأخر .

قال تعالى : **﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة﴾** (٣)

---

(١) سورة البقرة/٢١٦ . (٢) سورة الحديد/٢٢ ـ ٢٣ .
(٣) سورة النساء/٧٨ .

وقال تعالى : ﴿**قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم**﴾[1]

وقال تعالى : ﴿**وماكان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا**﴾[2]

إنها نفس مطمئنة واثقة فى حكم الله وعدله ورحمته مطمئنة البال وهادئة النفس على الدوام ، لا تفتر ولا تكل وتتواكل لأنها موقنة بجزيل الجزاء .

إنها النفس المطمئنة التى أعطاها الله سعادة الدنيا والآخرة فهى التى اطمأنت إلى قول الله وعدله وقوته وقدرته وعلمه اطمأنت إلى أن الله حق وأن الآخرة حق واطمأنت إلى نصر الله ورعايته وقضائه فقضاء الله بالنسبة لهذه النفس هو خير من المنع وخير من العطاء والله رحيم فى قضاءه وهى تؤمن أنه لا يوجد ظالم أقوى من عدل الله ولا جبار يعلو على قدرة الله ولا مفسد فى الأرض يفلت من عقاب الله وقدرة الله وعدله هى مصدر الاطمئنان الذى يملأ هذه النفس وهى مطمئنة بحب الله ورضاه واثقة متمسكة بأحبال رحمته وهذه النفس تلهج دائما بذكر الله تردد مع كل ومضة وطرفة ربنا الله ، هذا هو منهاجها فى الحياة الذى يشمل كل نشاط فيها وكل اتجاه وحركة وسلوك لها غايته حب الله له العبادة وإليه الاتجاه ومنه الخشية وعليه الاعتماد . فلا خوف ولا تطلع لمن عداه فكل تفكير وتقدير متجه إليه فلا احتكام إلا إليه ولا سلطان إلا لشريعته

---

(١) سورة الجمعة/٨ .

(٢) سورة آل عمران/١٤٥ .

ولا اهتداء إلا بهداه إن أصحاب هذه النفس هم من وصفهم الله في آياته :

قال تعالى : ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون**﴾[1]

(١) سورة الأحقاف/١٣ ـ ١٤ .

« الفصل الرابع »

السلوك الإنسانى

إن النفس البشرية تبعث الدهشة والحيرة للباحث فى أعماقها ، فالعقل البشرى عاجز حائر عن إدراك أحوالها وأنماط سلوكها . يخوض فى تحليلها تارة فيتوه فى دهاليز أعماقها المظلمة فلا يجد بصيصا من نور يكشف له كنه تكوينها ثم يقلب صفحات كتابها محاولا استقراء أطوارها وأفكارها فيصطدم بطلاسم من الكلمات والألفاظ لا يقوى على فهمها واستنتاج مضمونها .

إنها النفس البشرية التى لا يكشف أسرارها ولا يطلع على خباياها ولا يعلم هذه الخبايا إلا خالقها ومبدعها .

والسلوك الإنسانى أنماط عديدة من أهمها : ـ

١ ـ السلوك العقلى : وهو عبارة عن مجموعة من الأفعال التى يأتيها الفرد وتكون ذات علاقة بالحياة النفسية أو العقلية .

٢ ـ السلوك الآلى : ويقصد به ردود الفعل التى تصدر من الإنسان بطريقة آلية والانفعالات العشوائية التى نلاحظها أحيانا فى بعض مراحل العمر وهى الحركات الآلية الميكانيكية كحركة اليدين والحركة العامة للإنسان بما فيها اشباع رغباته المادية .

والإسلام ينظر إلى الإنسان كشخصية متكاملة بجميع نشاطها

من العبادة الخالصة والعمل الدنيوى ، والسلوك الإنسانى عند الغزالى له مستويين : ـ

١ ـ مستوى يقترب فيه من باقى الكائنات الحية ويتميز بتحكم الدوافع والعوامل الاندفاعية .

٢ ـ مستوى آخر يحقق فيه مثله العليا ويقترب فيه من المعانى الربانية والسلوك الملائكى ويتميز بتحكم الإرادة وسيطرة العقل .

وتتلخص فكرة الغزالى عن السلوك الإنسانى بالتالى :

١ ـ للسلوك دوافع وبواعث وغايات وأهداف .

٢ ـ الدوافع الداخلية تنبع من ذات الإنسان ولكنها تتأثر بمؤثرات خارجية أو بمثيرات داخلية تتعلق بالحاجات الجسدية والميول الطبيعية مثل الجوع والمحبة والخوف من الله .

٣ ـ الحياة النفسية عمل آلى يحسب فيها حساب التفاعل المستمر بين الأهداف أو الدوافع وبين السلوك .

٤ ـ السلوك الفردى يختلف باختلاف العوامل الوراثية والاكتسابية .

والسوك الإنسانى فى القرآن له معانٍ سامية ترقى بالنفس البشرية إلى الدرجات العليا فغاية الدين الإسلامى تقويم السلوك الإنسانى وضبط الدوافع الذاتية للإنسان ضمن أسس واضحة فيها خير للإنسان فى دنياه وآخرته وتكفل للمجتمع الخير والأمن والأمان والإسلام يحث المسلم على حسن السلوك وأن يتحلى بالخلق الحسن وفعل الخير ولنا فى رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة حين وصفه الحق :

قال تعالى : ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾[1]

والأمثلة على ذلك كثيرة فى القرآن الكريم التى تبين صفات السلوك الإنسانى السوى وهذه الصفات تتلخص بالتالى : ـ

١ ـ الاعتدال :

وهو عدم الافراط والمغالاة فى الأفعال والانفعالات فدائما يكون الاعتدال فى اختيار الأشياء وهو السلوك المنضبط الذى لا تغلبه الأهواء ولا تجنح به الأطماع وتبرز فيه معانى القناعة والتواضع ولا مكان للأنانية والتفاخر فى أرجاء النفس السوية .

قال تعالى : ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**﴾[2]

وقال تعالى : ﴿**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا**﴾[3]

٢ ـ حسن الخلق :

إنه التسامى فى السلوك الإنسانى فلا تنحدر النفس فى سلوكها حين يكون عنوانها حسن الخلق وحين تكون صفاتها الدماثة واللين والعطف والإنسان المتصف بحسن الخلق إنه من السعداء الأبرار الذين نالوا الكرامة الإلهية والسعادة الأبدية فى دار الخلد والنعيم بسبب ما قدموا فى الدنيا من صالح الأعمال واتصفوا به من جميل الخصال .

---

(١) سورة القلم/٤ . (٢) سورة البقرة/١٤٣ .

(٣) سورة الإسراء/٢٩ .

حسن الخلق هى تلك الخصال الحميدة التى يحبها الله ورسوله وبناء الشخصية الإسلامية المثالية وبناء المجتمع المسلم القائم على الفضيلة بدعائم التقى والصلاح فإن مادة بنائه الصلبة هى الأخلاق والتربية وإن مكانة المؤمن المتخلق بحسن الخلق فى الإسلام مكانة عظيمة والإنسان حسن الخلق هو من عمر الايمان قلبه وتعلقت جوارحه بذكر الله وفى حسن الخلق يكون طهارة الوجدان وصفاء الإيمان الذى يعصم صاحبه من الانزلاق فى مزالق الرذيلة .

فالأخلاق سياج وميزان تقدمها ورقيها وعنوان عظمتها وخلودها فالأمم لا تحيا بدون الأخلاق ولا تعيش بغير أدب ويقول أحمد شوقى :

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه فقوم النفس بالأخلاق تستقم

ويقول أيضا :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولقد ضرب رسول الهدى أروع الأمثلة فى الخلق الرفيع والاستقامة والتحلى بالأخلاق الكريمة الفاضلة حتى أثنى عليه الله سبحانه وتعالى : ـ

قال تعالى : ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾[١]

وقد وضع رسول الهدى أسس الأخلاق فى المجتمع الإسلامى فهو يحث كل مسلم على التحلى بالخلق الحسن . قال فى الحديث الشريف .

---

(١) سورة القلم/٤ .

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« **إن من أحبكم إلىَّ وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وإن من أبغضكم إلىَّ وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون** ، قالوا يارسول الله فما المتفيهقون ؟ **قال : المتكبرون** » .

لقد وضع رسول الهدى بهذه الكلمات قيمة الأخلاق ورفع مكانة المتخلقين بحميد الخصال الذين ترسخت فيهم معانى الفضل والنبل والأدب الرفيع .

قال تعالى : ﴿**ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين**﴾[1]

وقال تعالى : ﴿**ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم**﴾[2]

وقال تعالى : ﴿**الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين**﴾[3]

٣ ـ التواضع :

إنها صفة تشير إلى اعتراف النفس بضعفها أمام عظمة خالقها فلا تجعل للعظمة والاستكبار مكانا داخلها لأنها على يقين أن العظمة لله وحده والكبرياء للخالق العظيم مالك الملك القاهر فوق

---

(١) سورة آل عمران/١٥٩ . (٢) سورة فصلت/٣٤ .

(٣) سورة آل عمران/١٣٤ .

عباده .

قال تعالى : ﴿**وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما**﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿**واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿**ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا**﴾ (٣)

وقال تعالى : ﴿**ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور**﴾ (٤)

ورسول الهدى يحض على التواضع والابتعاد عن الكبرياء قال ﷺ :

« **لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر** ، فقال رجل فى مجلسه الشريف يارسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا فقال رسول الله : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس » .

هكذا وضح الهادى الأمين معنى الكبر بكلمات جامعة وبين ان حب التجميل ليس كبرا وليس إيثار الزينة كبرا . إنما الكبر بطر الحق ودفعه بالاعراض عنه وعدم قبوله والانقياد له ثم غمط الناس واحتقارهم والحق يأمر المسلمين أن لا يتبختروا فى مشيتهم فى التيه والعجب وقد حذر النبى المسلمين من الاعجاب بالنفس والزهو بها . وقد أثنى على عباده المؤمنين الذين يتصفون بالتواضع فقد

---

(١) سورة الفرقان/٦٣ . (٢) سورة الشعراء/٢١٥ .
(٣) سورة الإسراء/٣٧ . (٤) سورة لقمان/١٨ .

وصفهم الحق بأنهم يمشون على الأرض هونا ولا يزجون أنفسهم فى مخاطبات ومحادثات مع الجاهلين المتكبرين .

٤ ـ الصدق :

هو معدن النفس البشرية به تعلو وتشرف والصدق مع الله هو أسمى معانى الصدق . ويكون الصدق مع الله بالخوف منه ، بالجهر والاخفاء . والنفس البشرية لا يسترها حجاب عن خالقها فهى عارية مكشوفة فى ظاهرها وباطنها فهى فى قبضة خالقها ومكونها يحيط علمه التام بمكنونها ولا يخفى عليه ما تخفى النفوس فى الصدور .

والصدق مع النفس يكون بصفاء النفس فلا يتوهم الباطل على أنه حق ولا يلبس الظلم لباس العدل والصدق مع النفس وان يكون دائما صادقا فى الحق صدقه فى الوفاء ولا تظهر بواطن الأمور على غير حقيقتها والصدق مع الناس فى حسن معاملتهم والوفاء بعهدهم والأمانة فى أداء حقوقهم .

قال تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿**فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم**﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿**ليجزى الله الصادقين بصدقهم**﴾ (٣)

٥ ـ الأمانة :

وهى أداء دين ليس عليه إقرار والأمانة هى من صفات المؤمن

---

(١) سورة التوبة/١١٩ . (٢) سورة محمد/٢١ .

(٣) سورة الأحزاب/٣٤ .

والأمانة تكون فى المال والعرض والدين . والنفس البشرية تزهو وتتطهر بالأمانة فالأمانة هى رداء الطهارة والنقاء الذى يغطى ويستر عورات النفس إذا غالبتها الأهواء وراودتها الوساوس .

قال تعالى : ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿**والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون**﴾ (٢)

والأمانة هى ثمرة وافرة حين تغرس فى حقول النفس معانى الخير والوفاء ومخافة الله . والنفس الآمنة هى التى ترى عين الله المطلعة عليها فى كل حين فتبقى فى خجل ووجل من خالقها وموجدها .

٦ ـ الشكر :

إن الشكر كله ظاهره وباطنه هو الشكر الواجب على النفس لخالقها وموجدها شكرا يكون بالتقرب لله عبادة وطاعة واستغفارا وشكر الخالق وحمده على ما أسبغ على النفس من نعمه وآلاءه .

قال تعالى : ﴿**وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون**﴾ (٣)

وقال تعالى : ﴿**ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غنى حميد**﴾ (٤)

وقال تعالى : ﴿**إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا**﴾ (٥)

وقال تعالى : ﴿**فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون**﴾ (٦)

---

(١) سورة النساء/٥٨ . (٢) سورة المؤمنون/٨ .

(٣) سورة المؤمنون/٧٨ . (٤) سورة لقمان/١٢ .

(٥) سورة الإنسان/٣ . (٦) سورة البقرة/١٥٢ .

وقال تعالى : ﴿**واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد**﴾[1]

والإيمان هو مبعث الشكر على النعماء ومبعث الصبر على الضراء وأولى النعم التى امتن الله بها على الإنسان هو خلقه واستدعاؤه للوجود من عدم ، ثم سخر له ما فى الكون سمواته وأرضه وشمسه وقمره وهوائه وبحره وليله ونهاره ومائه وشجره وما أودع فى الإنسان من الاستعدادات القادرة على تسخير هذا الكون والاستفادة منها فأودع فى الإنسان نعمة العقل ونعمة السمع والبصر والأفئدة تلك النعم التى جعلت من الإنسان سيدا فى هذا الوجود . وخليفة الله فى الأرض . إن كل هذه النعم التى أسبغها الحق على الإنسان توجب عليه الشكر الدائم لخالقه عبادة وتقربًا توبةً واستغفارًا .

قال تعالى : ﴿**وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة**﴾[2]

٧ ـ الحلم والرفق :

وهما من صفات الخير والإحسان فمن كان طابعه الحلم والرفق رضى الله عنه وجعل له فى الدنيا حسنة وهى محبة الناس وجعل له فى الآخرة حسنة هى جنة الله التى وعد بها عباده المتقين .

ومن صفات المؤمن ليس الحلم والرفق مع أهله وذويه فقط وإنما رفقه وحلمه ينصب على كل ضعيف أو محتاج ورفقه ينال الهرم والصغير والإنسان والحيوان فهو يرى فى الرفق عبادة وتقربا لله

(١) سورة إبراهيم/٧ .   (٢) سورة لقمان/٢٠ .

ويوقن أن كف الأذى عن أخيه الإنسان والرفق به ورعايته هى عبادة ورحمة حث عليها الخالق سبحانه وتعالى كل إنسان أن يتصف بها فيعم التكافل والتراحم والخير والإحسان .

والحلم هو ما يعمر قلب المؤمن من صفات الخير والمودة والإخاء . فلا مكان للغضب والكره فى قلب الحليم والإحسان الدائم هى صفة الإنسان الحليم والإحسان فى عبادة الله هى أصل الخير كله الذى يعمر قلب المؤمن .

والعفو والصفح الجميل وخاصة إذا اقترن بالمقدرة هو أعظم مراحل حلم النفس البشرية وأجل لحظات صفائها وتأففها عن مستصغر الأشياء والحلم والرفق هما من أسمى معانى الخير فى النفس البشرية فالحلم هو ماء الخير الذى يطفىء نار الغضب المتأججة دائما فى النفس البشرية والرفق هو الأيدى الحانية التى تحتضن الخير والرأفة فى النفس وهى الأيدى التى تدفع العدوان والأذى عند الإنسان .

قال تعالى : ﴿**خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿**وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل**﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿**والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين**﴾ (٣)

قال تعالى : ﴿**وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم**﴾ (٤)

---

(١) سورة الأعراف/١٩٩ . (٢) سورة الحجر/٨٥ .
(٣) سورة آل عمران/١٣٤ . (٤) سورة النور/٢٢ .

٨ ـ المحبة :

حب الله أعظم وأقدس معانى الحب فى النفس وحب الله هو معنى الايمان باده الاخلاص لله الخالق العظيم ، فهو غذاء القلوب وما تطمئن به النفوس ومن أحب الله أحبه الله وذلك هو الفوز العظيم .

فلا حب بعد ب الله . وحب الله يكون بالعبادة والتقديس .

قال تعالى : ﴿**إن الله يحب المحسنين**﴾[1]

وقال تعالى : ﴿**والله يحب الصابرين**﴾[2]

وقال تعالى : ﴿**إن الله يحب المقسطين**﴾[3]

وقال تعالى : ﴿**إن الله يحب المتوكلين**﴾[4]

وقال تعالى : ﴿**والله يحب المطهرين**﴾[5]

إن معانى حب الله فى النفس هى الصبر والإحسان والقسط والتوكل على الله والتطهر من الرجس والذنوب . إنها أعمال الخير الدائم إذا امتلأت بها النفس كان حب الله هو غايتها ومقصدها . والحب بين الناس هو فيض من رحمة الخالق بين عباده فما ساد الحب فى قوم إلا ونقضوا الكره والبغاء والحقد والضغينة . والحب فى النفس دليل إيمان ومبعث خير وحين يطفو الحب على صفحة النفس يغور الحقد والحسد فى أعماقها .

والحب هو احدى المشاعر فى النفس البشرية التى تنتج سلوكا .

---

(١) سورة المائدة/١٣ .
(٢) سورة آل عمران/١٤٦ .
(٣) سورة المائدة/٤٢ .
(٤) سورة آل عمران/١٥٩ .
(٥) سورة التوبة/١٠٨ .

ولا نعرف عن الحب إلا آثاره التى نحسها فى أعماقنا وتظهر تارة على صفحات وجوهنا أو على ألسنتنا أو أيدينا .

ومن دعاء النبى ﷺ أنه كان يقول « **اللهم ارزقنى حبك وحب من أحبك وحب ما يقربنى إلى حبك واجعل حبك أحب إلىَّ من الماء البارد** » .

وقد يكون الحب فى النفس غير حاجتها ورغباتها لا يشغل هذه النفس غير هواها ولا مكان لحب الغير داخلها تأبى أن تفيض من ممتلكاتها على الغير ولا ترى فى حب الغير مبدأ وسلوكا إنسانيا . لكنها ترى فى حب ذاتها الهدف المنشود فى كل سلوك أو دافع فطرى .

أما عاطفة المحبة فهى من الحواس التى تجهل أمرها وكيف تنفعل النفس بها لكننا نعلم ونحس بأثارها الظاهرة .

٩ ـ الجود والكرم :

إنها صفات تبرز عناصر الخير والايثار فى النفس . فنفس الكريم تجود بما تملك كى ترضى من تحب وغاية الجود والكرم هو فى حب الله فمن جاد فى غير ما يرضى الله فقد ضل ضلالا بعيدا ومن كان جوده من أجل غاية وكسب دنيوى فما له من جوده سوى الخسارة فى الدنيا والخزى فى الآخرة وهذا الجود هو وجه من أوجه النفاق والرياء وأسمى معانى الجود فى النفس الزكاة والصدقة . فالزكاة هى تطهير النفس والمال فيها خير الدنيا وفى الآخرة الجزاء الأوفى . إنها التجارة الرابحة . فيها تبرز معانى التآزر والتراحم . فيها يعم التواصل والتآخى بين الأفراد .

قال تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض**﴾(1)

وقال تعالى : ﴿**وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون**﴾(2)

وقال تعالى : ﴿**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم**﴾(3)

١٠ ـ حفظ اللسان :

إن من صفات المؤمن حفظ اللسان . فلا ينطق لسانه إلا بخير وإلا صمت

ففى الحديث الشريف عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت** » متفق عليه وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله أى المسلمين أفضل ؟ قال «**من سلم المسلمون من لسانه ويده** » متفق عليه صدقت يارسول الله فأنت وحى هذه الأمة وضعت لها أسس الأخلاق الحميدة وأرسيت لها مكارم الأخلاق ووضعت يدك الكريمة على مواطن الداء فى النفس البشرية . ووضعت لها أنجع دواء . فاللسان هو المضغة الحسنة فى الجسد إذا استعمله الإنسان فى ذكر الخير والحض عليه وهو بؤرة الفساد إذا

---

(1) سورة البقرة/٢٦٧ . (2) سورة البقرة/٢٧٢ .

(3) سورة آل عمران/٩٢ .

أطلق له العنان ينال من بنى البشر بالقذف والذم والإساءة . وهو فتيل كل نار تتأجج بين الناس . صدقت يا رسول الله حين أسديت النصيحة وأظهرت حقيقة اللسان وأثره فى حياة الإنسان فرفعت بذلك صرح القيم والأخلاق بين الأمم والتى عجزت أعظم الحضارات وحتى مهما كان مبلغها العلمى أن تورث مثل هذه المبادئ السامية وفشلت كل الحضارات أن ترسى مكارم الأخلاق كما أرساها نبى الهدى والسراج المنير.

قال تعالى : ﴿**واجعل لى لسان صدق فى الآخرين**﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿**ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين**﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿**ألم نجعل له عينين . ولسانا وشفتين . وهديناه النجدين**﴾ (٣)

وقال تعالى : ﴿**يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعلمون**﴾ (٤)

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان ـ تذل وتخضع له وتقول اتق الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا** » .

إن محاولة دراسة السلوك الإنسانى شيء معقد جدا لكن الحقيقة الواضحة أن الإنسان يمثل نظاما متكاملا وانه يتكون من

---

(١) سورة الشعراء/٨٤ . (٢) سورة الروم/٢٢ .
(٣) سورة البلد/٨ ـ ١٠ . (٤) سورة النور/٢٤ .

أجهزة متعددة كل منها يختص بأداء وظيفة محددة . والسبيل الوحيد لفهم السلوك الإنسانى وتفسيره هو عن طريق النظر إلى الجوانب المختلفة فى نظامه المتكامل والإنسان له دوافع متعددة ومعقدة .

والإنسان فى سلوكه عبارة عن وحدة متكاملة تنفعل بمؤثرات داخلية وتتفاعل مع مؤثرات خارجية ومحيطة به ومدى استجابة الفرد للمؤثر سواء الداخلى أو الخارجى تختلف من شخص إلى آخر ولابد من الوضع فى الاعتبار عند تعليل السلوك الإنسانى معرفة الدافع أو الباعث وراء كل سلوك والإنسان متفاعل مع المجتمع المحيط به فلابد أن نضع الاعتبارات الاجتماعية عند تحليل السلوك الإنسانى . ويتضح لنا من تحليل السلوك الإنسانى بصفة عامة النتائج التالية : ـ

١ ـ السلوك الإنسانى سلوك هادف . ويحدد هذا الهدف حاجات الفرد البيولوجية والاجتماعية والنفسية .

١ ـ السوك الإنسانى سلوك مسبب .. وقد يكون السبب ظاهريا أو خفيا .

٣ ـ السلوك الإنسانى متعدد الأسباب . فالحاجات الأساسية للإنسان تتفاعل داخله ويحاول بسلوكه اشباع أكبر عدد ممكن من حاجاته فى آن واحد .

٤ ـ اللاشعور يلعب دورا هاما فى تحديد السلوك الإنسانى فالفرد لا يستطيع فى بعض الأحيان تحديد أسباب سلوكه .

٥ ـ السلوك الإنسانى عملية متعددة فلا يوجد فواصل قاطعة تحدد بدء السلوك ونهايته .

٦ ـ السوك الإنسانى يشمل الإنسان كوحدة متكاملة . ومن شأن أى نشاط لأى جزء أن يؤثر على الأجزاء الأخرى .

٧ ـ السلوك الإنسانى يتأثر بطبيعة المجتمع المحيط به . وللقوى الاجتماعية المحيطة بالفرد تأثير شديد على أساليب وأنماط السلوك التى يتبعها .

٨ ـ السلوك الإنسانى يختلف باختلاف شخصية الفرد وتلك الشخصية هى نتاج التفاعل بين حاجات الفرد ورغباته وخبراته والبيئة التى يعيش فيها .

« الفصل الخامس »

المميزات السلوكية للشخصية السوية

١ ـ القدرة على التحكم بالذات :

جهاز التوجيه الهادف للحركة الإنسانية والذى يتم به ضبط الحياة الإنسانية وحركتها السلوكية وهو ما نسميه الواقعية هو ما يميز الإنسان عن باق الحيوانات ، فالإنسان فيه دوافع وفيه ضوابط وهى التى تحدد اتجاه وسرعة الدوافع . لأن الدوافع طاقات فطرية تقبل كل توجيه وضبط أو إهمال وانحراف وحياة الإنسان تتنوع أنشطتها المختلفة من تفكير وعبادة وتعلم وشعور وانفعال ووجدان وحركة وسلوك .

وهذه الأنشطة لها محرك وهو الدافع أو « الحاجة ، الرغبة ، الغريزة ، الميل » الذى يحرك الإنسان بمثير داخلى أو خارجى ليقوم بنوع معين من السلوك وإذا تم إشباع الحاجة الدافعة عاد الدافع إلى « الكمون » والدوافع هى أساس الحياة الإنسانية ومصدرها والإنسان السوى هو الذى يتجلى فيه الضبط الذاتى للدوافع داخل نفسه .

والإسلام هو أول من اهتم بعملية الضبط الذاتى للدوافع الإنسانية فالإسلام حرم اشباع الدوافع عن طريق الخبائث

أو المحرمات وحدد الإسلام السبيل السوى فى إشباع الدوافع الإنسانية وبطريقة منظمة تكفل للفرد والمجتمع نظاما متكاملا يقوم على الخير للفرد والمجتمع فى الحياة الدنيا والآخرة والإسلام أول من حارب الانحراف والفوضى فى اشباع الدوافع الإنسانية .

قال تعالى : **﴿يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾** (١)

وقال تعالى : **﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون﴾** (٢)

وقال تعالى : **﴿يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾** (٣)

وقال تعالى : **﴿قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تفعلون﴾** (٤)

وقال تعالى : **﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن﴾** (٥)

والإنسان السوى يستطيع أن يتنبأ بنتائج الأحداث قبل وقوعها وذلك عن طريق التفكير الواعى المنضبط وكلما زادت قدرته على التفكير الموضوعى ازدادت قدرته على الضبط والتحكم فى سلوكه .

---

(١) سورة البقرة/١٦٨ . (٢) سورة البقرة/١٧٢ .
(٣) سورة الأعراف/٣١ . (٤) سورة الأعراف/٣٣ .
(٥) سورة النور/٣٠ ــ ٣١ .

٢ ـ تحمل المسئولية وتقديرها :

يتميز الشخص السوى فى سلوكه بتقديره للأمور تقديرا مبنيا على موازنة النتائج وتوفيقها وتحليلها وكلما زادت القدرة على الضبط الذاتى قلت الحاجة إلى الضبط من سلطة خارجية والفرد السوى هو خير من يقدر المسئولية ويحاسب نفسه ويعتبرها مسئولة عن أعماله ويتحمل المسئولية بكل ثبات والإنسان كائن مسئول مكلف يجب أن يلتزم بما يفكر ويتفاعل ويجب أن يتحمل نتائج ذلك إن كان خيرا أو شرا وهذه حقيقة نفسية كبرى فى استعداد الإنسان لتحمل المسئولية ومقدرته على القيام بها .

والإنسان السوى دائما يسمو بتفكيره لأنه يعلم أنه مادة ونفخة من روح الله تسمو به نحو الحق والخير والإيمان بالله فى النفس السوية جهاز التحكم العظيم فى توجيه الضبط الذاتى للإنسان .

٣ ـ التعاون :

الفرد جزء من كل وهو المجتمع ينفعل به ويتفاعل معه ولابد أن تسود روح التعارف والتآلف بين أفراد المجتمع حتى تسير عجلة الحياة هادئة متئدة فى طريق الهدى والخير . والشخص السوى هو من يتفاعل مع المجتمع تفاعلا إيجابيا ويستطيع ضبط سلوكه بما يتفق وأهداف المجتمع والشخص السوى هو من وطد نفسه على القيام بالأعمال التى لا تتنافى والمبادئ والقيم والأهداف فى المجتمع المحيط به .

والإسلام هو واضع مبادئ التعاون والتكامل فى مجتمع الخير

والمودة والمؤاخاة وفى الحديث الشريف وضع الرسول ﷺ مبادئ التعاون والتآزر والمسئولية فى قوله : « **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته** » .

وفى الحديث الشريف : « **المؤمنون فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** » .

صدقت يا رسول الله حين وضعت هذه المبادئ السامية فى السلوكيات البشرية فلم تحظ أمة بمثل هذه المبادئ وهذه القيم مثلما حظيت أمة الإسلام هل هناك عالم نفسى مهما توصل فى علمه فى تحليل النفس البشرية استطاع أن يضع حرفا واحدا فقط فى المعانى العظيمة والمبادئ الموجهة للنفس كما وضعها رسول الهدى والبشير النذير .

قال تعالى : ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾ [1]

وقال تعالى : ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**﴾ [2]

والإنسان ليس كاملا كله طهر وخير واستقامة وليست النفس البشرية هى الصفات الإيجابية التى تؤكد كرامة الإنسان وسموه وأهليته لخلافة الله فى الأرض بل تحوى النفس البشرية من الضعف

---

(١) سورة الرعد/١١ .

(٢) سورة الحجرات/١٣ .

والوهن ما قد ينحدر بها إلى أدنى المستويات البهيمية وذلك لأن الإنسان حين تهيمن عليه الدوافع المادية فقط تهبط إنسانيته نحو الانحدار والاسفاف .

ولكنه حين يتسامى ويعلو فى سلوكه ودوافعه نحو الجانب الروحى الذى هو نفخة من روح الله تسمو إنسانيته إلى الخير والفضيلة ولدى الإنسان فطرة أولية تدفعه للإيمان بالله وإذا فقد الإنسان هذا الجانب الروحى المؤمن من شخصيته فقد جوهر إنسانيته الحقة ولا يبقى منه سوى المادة والشكل والعظم والبعد عن الإيمان هو انحراف عن سلامة النفس البشرية وسويتها .

وفى النفس البشرية صفات سلبية تكون كامنة وظهور هذه الصفات هو انحراف النفس البشرية عن سواء السبيل ولكن إذا تم التغلب عليها بحسن التوجيه الإيمانى رعاية وتنشئة وتربية قويمة صحيحة وفق منهج الله تصبح النفس البشرية سوية متكاملة فاضلة .

ومن أهم الصفات السلبية للنفس البشرية :

١ ـ الضعف الإنسانى :

فالإنسان خلق ضعيفا فى تكوينه المادى وهو من أضعف المخلوقات إذا ما قورن بباقى مخلوقات الله فى هذا الكون .

والإنسان يحس بهذه الحقيقة فى قراءة نفسه منذ بداية خلق الإنسان من الماء المهين مرورا بالحمل والوضع وخروجه طفلا ضعيفا يستمد العون والمساعدة من غيره لا حول له ولا قوة فى أبسط دوافعه وحاجاته الحياتية فيبقى الإنسان عالة على غيره ضعيفا فى أداء

مهاته إلى أن يصل إلى مرحلة الرشد بالقوة لكن الإنسان فى عنفوان هذه القوة يستشعر الضعف حينا والوهن أحيانا فهو ضعيف حين يمتلكه الإرهاق والمرض والملل والفشل ثم تنحدر به هضبة العمر نزولا فيزداد ذلك الشعور بالضعف فى مراحل العمر وحين يبلغ فيه الوهن مبلغه فينحدر العمر إلى أرذله .

قال تعالى : **﴿الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾** (١)

وقال تعالى : **﴿يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا﴾** (٢)

لكن الإنسان المؤمن يحول هذا الضعف إلى قوة يستمد هذه القوة من مصدرها الأصيل فالإنسان ضعيف أمام الله فالايمان بالله قوة ليس بعدها قوة يستمد منها الإنسان قوته ويتغلب بها على ضعفه فيجعل صلته بالله عونا وسندا ووكيلا . ويجعل من الإيمان رقيبا على عقله وإرادته ودوافعه فلا يذل ويضعف أمام هذه النفس ولا يقع صريع الشهوات .

٢ ـ العجلة :

وهى من السمات السلبية التى يتميز بها الإنسان وهذه الصفة تدفعه دائما ليتطلع إلى ما بعد اللحظة القائمة يريد أن يمتد بصره طويلا ما بعد مدى البصر محاولا اختراق حجب الزمان ليقطف الثمار

(١) سورة الروم/٥٤ .   (٢) سورة النساء/٢٨ .

قبل الأوان ولهذه العجلة آثار سلبية لأنها توقع الإنسان فى أخطاء سلوكية وتحرفه عن تحقيق الهدف وتجعله يحيد عن التخطيط السليم المنظم المنضبط ولها أخطاء فى مجال التفكير والتدبير فقد يترتب عليها قرارات خاطئة وفى مجال الانفعالات والسلوكيات والعواطف الإنسانية لها آثار وتغيرات خطيرة وقد ينتج عنها سلوكيات وانفعالات متطرفة أو حادة مما يترتب عليه عدوان أو ظلم ثم تصبح نهاية العجلة الندم .

وعلاج العجلة هو الإيمان بالله وقضائه وقدره وهذا يبعث الطمأنينة بالنفس . فالمؤمن عنوان سلوكه وانفعاله السكينة والوقار والهدوء آمن مطمئن إلى قضائه وقدره مستوثق بعرى الله التى لا تنفصم لا يستعجل أمرا لأنه متيقن ان كل الأمر بيد الله يدبره كيف يشاء ولا رادَّ لإرادة الله .

قال تعالى : ﴿**خلق الإنسان من عجل**﴾[1]

وقال تعالى : ﴿**ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا**﴾[2]

وقال تعالى : ﴿**ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليه أجلهم**﴾[3]

٣ ـ كفور :

صفة من أرذل الصفات وأشرها فالإنسان حين يكفر بربه

---

(١) سورة الأنبياء/٣٧ . (٢) سورة الإسراء/١١ .

(٣) سورة يونس/١١ .

خالقه ومنعم الحياة عليه ويغفل أو ينسى ذلك فقد ارتكب أعظم الكبائر التى ليس بعدها ذنب . وحين يكفر الإنسان بربه ويشرك به ويعبد من دون الله فقد طمس على عقله وانحدر بنفسه إلى أعماق الفسوق والضلال فالشرك بالله ذنب لا ذنب بعده وجرم فاحش أجحف الإنسان به نفسه والشرك بالله ظلم النفس لذاتها يخرجها من رحمة الله إلى غضب الله وسخطه .

والإنسان كفور بنعمة الله عليه يجحدها فلا يتذكرها وينكر فضل المنعم بها فلا يشكره ويحمده على نعمه وآلائه . لكن ضعف الإنسان يوقظ فيه الإحساس وتذكر نعم الله عليه فالإنسان حين الشدائد والأهوال يتذكر أن الله خالقه وهو المعين والمنقذ له وحين يشرف على الهلاك يتذكر الله طالبا عونه وقدرته فإذا أمده الله بالعون والخلاص وأنعم عليه بالحياة عاد الإنسان وغفل عن نعمة الله التى أنعم بها عليه .

قال تعالى : ﴿**وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون**﴾[1]

٤ ـ البخل :

سلوك متميز بالنفس يطغى به حب التملك والاقتناء ويغفل البخيل عن عظم الداء الذى يدب فى نفسه ذلك الداء الذى استفحل فى نفس البخيل فجعله فريسة لأطماع النفس لا يقوى على

---

(١) سورة النحل/١١٢ .

قهر شهوتها بحب الاقتناء وأنانية الاستحواذ .

وداء البخل لا يقتصر مضاعفاته على البخيل وحده إنما ينتشر عدواه إلى المجتمع المحيط إما بعدوى المرض نفسه التى قد تنتقل إلى أفراد آخرين فيعم الشح فى المجتمع وتنقطع أواصر المودة والتراحم حيث يتملك النفوس خوف التواصل وما يتبعه من إنفاق وإسراف . وتنعدم المشاركة والتكافل بين الأفراد لأن الكل حريص على ماله وحب نفسه أو انعدام الإيثار والكرم بين النفوس فلا ترابط ولا تآذر بين الناس . ولا مودة ولا رحمة بين الأفراد . حب التملك طغى على النفوس واستحوذ عليها .

وعميت بصيرة البخيل عن حب الله والانفاق فى سبيله . والشح من سمات بعض الأفراد فى هذا المجتمع فأصبح الإنسان فى عصر المادة الحالى هو رهين بحب المال حيث أصبح التفاضل فى اكتناز المال . ونحن نعيش الآن مجتمعات المادة ونلمس كل يوم مدى تكالب الأفراد على جمع المال وادخاره ولم نر هذه الأيام من يسارع إلى مغفرة من الله ورضوان فينفق فى سبيل الله وابتغاء رضوانه كل ما يملك وقد جعل الله من صفات المؤمنين حماية أنفسهم من صفة الشح .

قال تعالى : ﴿**ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾ [(١)]

وقال تعالى : ﴿**وأنفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾ [(٢)]

---

(١) سورة الحشر/٩ .

(٢) سورة التغابن/١٦ .

وقال تعالى : ﴿**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم**﴾[1]

٥ ـ الطغيان :

إنها إحدى صفات النفس حين ينتابها شعور بالعظمة ويتملكها الاستبداد والظلم . تنحرف النفس إلى سلوك سلبي إذا ما أنيط بها مسئولية أو أنعم الله عليها بوافر نعمته فتجنح هذه النفس ويمتلكها الغرور والاستبداد معتقدة أن رحلة حياتها دائمة وسطوة سلطانها قادرة غافلة عن قدرة الله ونعمه ، ونفس الطاغي لا تبصر حقيقة الحياة إنها حجبت سحب شهوة السلطة والمال فأصبح الطاغية يعيش حياته في حظيرة سلطته وأملاكه . تغلبه الأوهام وتهيىء له أن سلطانه دائم وماله لا ينتهي .

وقد حذر الحق الإنسان من الطغيان وذكره بأن مرجع الإنسان طال أمره أم قصر هو إلى الله ثم يلقى ما قدمت يداه حاضرا فلا يغني عنه ماله ولا سلطانه في شيء والأمر يومئذ لله .

قال تعالى : ﴿**كلا إن الإنسان ليطغى . أن رآه استغنى . إن إلى ربك الرجعى**﴾[1]

لكن نفس المؤمن تتذكر دائما أن قوة الله فوق كل سلطان وهي مستيقنة أن الرزق كله من عند الله يهبه لمن يشاء من عباده ويمنعه عمن يشاء ونفس المؤمن لا ترى في الغنى سوى غنى النفس بحب الله .

---

(١) سورة آل عمران/٩٢ .　　(٢) سورة العلق/٦ ـ ٨ .

قال تعالى : ﴿**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم**﴾[1]

٦ ـ الهلع :

هو الجزع فى النفس حيث لا تصبر على الشدائد والأزمات أما فى حالات الرخاء فطابع هذه النفس الشح والحرص على المال وهذه الصفة تلازم الإنسان المنحرف عن منهج الإيمان بالله لكن الإنسان المؤمن لا تستخفه عواطف الزمن ولا تقلبات الدهر فهو فى مواجهة الشدائد صلب صابر واثق وراضٍ بما قدر الله وهو فى الرخاء كريم شاكر لله على ما أنعم .

قال تعالى : ﴿**إن الإنسان خلق هلوعا . إذا مسه الشر جزوعا . وإذا مسه الخير منوعا . إلا المصلين . الذين هم على صلاتهم دائمون . والذين فى أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم**﴾[2]

٧ ـ النميمة والحقد :

إنها من أكثر الصفات فى النفس خطورة نارها تحرق الأجساد وتلتهم الحسنات فهى غذاء النفس الشريرة وسمها الذى تنفثه بين الأفراد تندلع الحروب بين الأفراد والأمم فى كثير من الأحيان من جراء نميمة أو حقد دب بين الأفراد والأمم فتزهق الأرواح وتدمر الحضارات ويبقى الرماد والخراب شاهدا على ضراوة نار الحقد والنميمة .

---

(١) سورة الجمعة/٤ .

(٢) سورة المعارج/١٩ ـ ٢٥ .

ولأن الإسلام نور الهداية ناهٍ عن النميمة والحقد فقد أجزل فى الوصف وتسامى فى بيان أثر النميمة والحقد فى النفوس . فقال عز من قائل .

قال تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم**﴾[1]

إنه منهج الله فى تقويم النفس فخالق النفس عالم ببواطن الضعف فيها . فخاطب سبحانه وتعالى النفس المؤمنة الموقنة بحب الله . واتباع أوامره أن تجتنب وتبتعد عن الظن والشك والتجسس والنميمة لأنها صفات سلب وضعف فى النفس الإنسانية وحين يبتعد الإنسان عن هذه الصفات يعيش الأفراد فى حب ووئام وقد أظهر الحق حقيقة هذه الصفات البغيضة فوصف من يغتاب أخيه أو يتجسس عليه كمن يأكل لحم أخيه ميتا . وهل من نفس تقوى على مثل هذا الفعل الشنيع . إنها حقا صفة ذميمة لا يتصف بها إلا من ابتعد عن ذكر الله ومن عصى أمر ربه ، والحقد صفة بغيضة تملأ بعض النفوس بالكره والبغضاء نحو إخوانهم وأبناء جنسهم ولا تجد الحقد إلا فى نفس المنحرف الذى لفظه المجتمع نتيجة سلوكيات أتى بها ، فالحقد والحسد المذموم والغيبة والغيرة الآثمة أسماء مختلفة للدلالة على وجوه متعددة لدافع نفسى واحد وهو الحقد

---

(١) سورة الحجرات/١٢ .

ويعتبر الحقد من الانفعالات المعقدة ومنها انفعال الخوف والكراهية فالحاقد يعانى من صراع انفعالى متواصل يشغل كل حياته ويفسد عليه سلوكه واستقامته وتفكيره وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالاستعاذة من النفس الحاسدة .

قال تعالى : ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾[1]

٨ ـ النفاق والرياء :

سلوكيات نفسية غير سوية تكون صفة ظاهرة للنفس البشرية المنحرفة عن منهج الإيمان . والنفاق والرياء هو اعتقاد الفرد بقدرة مخلوق مثله فأعطاه صفة من يملك لمن لا يملك والنفاق والرياء آفتان ابتليت بهما النفس البشرية لاختيار عمق ورسوخ الايمان بالله خالق القدرة وهو مالك كل شيء والقاهر فوق عباده ، والمنافق هو من استمد واعتقد بقوة الآخرين ومن هم لا يملكون القدرة ولا يعطون شيئا . ونفس المنافق وهنت وضعفت لأنها لم تستمد مصدر قوتها من الله خالقها بل اعتقدت بقدرة البشر وغفلت عن قدرة الله وما النفاق إلا سلوكيات نفسية ضعيفة تحاول إشباع دوافع الحاجات الكامنة بها عن طريق طلب الرضى والعطف ممن يملكون السلطة أو المال فيطرى عليهم بالألقاب وينعتهم بالصفات محاولا من وراء ذلك نيل ودهم ورضاهم . وهادفا لتحقيق مطلب مادى أو دنيوى ومعتقدا أن ما ناله سوف يكون مصدر بقائه ونسى هذا المنافق أن البشر لا يملكون من أمرهم شيئا وحتى لو ملكوا كنوز

---

(١) سورة الفلق/٥ .

الأرض . وغفلت نفس المنافق عن حقيقة مصدر الرزق والحياة . والتى هى من الله الخالق العظيم .

والرياء فى عصرنا استشرى واستفحل أمره حيث أصبح مضمون كل حديث وعبارات الرياء والنفاق هى عنوان كل مديح لكن المؤمن بالله لا يقيم للمادة وزنا إذ يعتقد أنها سبب فى بعده عن الله بل يهون فى نفس المؤمن كل غالٍ وتتهاوى فى نفس المؤمن كل معانى السلطة وهيلمانها حين ترى عظمة الله وقوته والنفاق والرياء هما من درجات الشرك بالله والابتعاد عن منهجه السوى والحق جل وعلا العالم بهذه النفس طلب منها الابتعاد عن هذه السلوكيات المهينة فجعل المنافقين إخوان الشياطين ورسول الهدى وصف الرياء بأنه الشرك الأصغر لأن فيه اعتقاد بقدرة البشر وفيه غفلة عن قدرة الله وعظمته .

ومنهج الله أمرنا بالطاعة لأولى الأمر منا فيما لا ينطوى على شرك بالله وفيما لا يقود إلى معصية الله .

قال تعالى : ﴿**وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها**﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿**بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما**﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿**إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا**﴾ (٣)

فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق هذا هو منهج الله فى تقويم النفس البشرية به تتسامى فى سلوكياتها نحو الطاعة الخالصة لخالقها

---

(١) سورة هود/٦ . (٢) سورة النساء/١٣٨ .

(٣) سورة النساء/١٤٥ .

الذى بيده ملكوت كل شىء .

وهكذا فإن الطريق الصحيح لعلاج النفس الإنسانية هو مصارحتها بحقيقتها وكشف ظنونها وأوهامها وتبصيرها بما يجب أن تسلكه وهناك أفعال وسلوك خاطئة عليها أن تتجنبها وتعرض عنها ولا تتبع ما يخالف عقيدتها وتتمسك بما أراد الله للنفس أن تتحلى به سلوكا وأخلاقا وغاية .

على النفس البشرية دائما أن تنهج سبيل الخلاص بالاستقامة والخوف من الله والتوكل عليه فى السراء والضراء وعلى النفس أن تجاهد وتثابر فى تجنب الأهواء والشهوات وتبتعد عن مهاوى الضلالة وتنبذ مسالك الأنانية والشر ولابد للنفس أن تخرج دائما من عبودية الذات لتكون دائما فى المراتب العليا بصلتها الدائمة بالله خالقها ومبدعها ومالك أمرها .

وعلماء النفس لا ينظرون للنفس إلا من خلال العيوب والأمراض والآفات والعلل ولا يفتشون إلا فى الانحرافات والتشوهات والعقد ولا يقولون لنا شيئا إيجابيا عن النفس السوية الصحيحة بينما نرى منهج الله يقف على النقيض من هذه النظرة فيعلمنا أن قمع الشهوات هو شاهد على سلامة النفس وأن الإحساس بالذنب هو علامة صحة وأن التوبة موقف ندم تدل جميعها على فطرة سوية إيمانية .

والدين يقول بإمكانية تبديل النفس وتغيرها جوهريا ويقول بإمكانية إخراجها من ظلمة البهيمية إلى أنوار الصلة الإيمانية بالله ومن حضيض الشهوات إلى ذروة التسامى الخلقى ويتحقق ذلك

بالإيمان بالله عبادة وتوبة واستغفارا .

قال تعالى : **﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾** (١)

وقال تعالى : **﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون﴾** (٢)

وهكذا كانت جولة فكرية فى داخل النفس الإنسانية التى هى من أعظم آيات الله خالق الإنسان ومودع ومركب هذه النفس على ما بها من قوى وإمكانيات وسلوكيات .

فجملة القوى فى النفس والعقل والروح هى الذات الإنسانية وكل قوة فى هذه القوى تدل على الذات الإنسانية فى حالة من حالاتها والذات الإنسانية هى ذات الروح وذات العقل وذات النفس وهى الإنسان بأكمله وحدة وتكوينا ورحلتنا فى الذات الإنسانية هى محاولة للنظر فى مكوناتها لكن يبقى العقل المنوط به التعرف على الذات الإنسانية وهو جزء منها عاجزا عن كشف أسرارها وما تنطوى عليه من ملكات وطاقات فهذا الوعى الباطن وذاك الوعى الظاهر « الشعور واللاشعور » ملكات وطاقات لا يدرك منها الإنسان إلا القليل والذات الإنسانية بما فيها من الضمير والوجدان والخيال والبديهة والرؤية والحفظ والتفكير والإدراك والتذكر والتخيل تشير إلى عظمة خالقها ومبدعها وواهبها

---

(١) سورة القصص/٧٧ .

(٢) سورة فصلت/٣٠ .

كل هذه الطاقات .

الحمد لله حمدا يوافى نعمه ويكافىء مزيده ، ويدفع عنا بلاءه ونقمه يا ربنا لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ولعظيم سلطانك ومجدك ، اللهم أصلح قلوبنا وأزل عيوبنا وتولنا بالحسنى ، وزينا بالتقوى واجمع لنا خير الآخرة والأولى ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم واهدنا إلى الحق وإلى الطريق المستقيم .

الفهرس

صدر من هذه السلسلة

الكتاب	المؤلف
١ ـ تأملات فى سورة الفاتحة	[الدكتور حسن باجودة]
٢ ـ الجهاد فى الإسلام مراتبه ومطالبه	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
٣ ـ الرسول ﷺ فى كتابات المستشرقين	[الأستاذ نذير حمدان]
٤ ـ الإسلام الفاتح	[الدكتور حسين مؤنس]
٥ ـ وسائل مقاومة الغزو الفكرى	[الدكتور حسان محمد حسان]
٦ ـ السيرة النبوية فى القرآن الكريم	[الدكتور عبد الصبور مرزوق]
٧ ـ التخطيط للدعوة الإسلامية	[الدكتور على محمد جريشة]
٨ ـ صناعة الكتابة وتطورها فى العصور الإسلامية	[الدكتور أحمد السيد دراج]
٩ ـ النوعية الشاملة فى الحج	[الأستاذ عبد الله بوقس]
١٠ ـ الفقه الإسلامى آفاقه وتطوره	[الدكتور عباس حسن محمد]
١١ ـ لمحات نفسية فى القرآن الكريم	[د. عبدالحميد محمد الهاشمى]
١٢ ـ السنة فى مواجهة الأباطيل	[الأستاذ محمد طاهر حكيم]
١٣ ـ مولود على الفطرة	[الأستاذ حسين أحمد حسون]
١٤ ـ دور المسجد فى الإسلام	[الأستاذ على محمد مختار]
١٥ ـ تاريخ القرآن الكريم	[الدكتور محمد سالم محيسن]
١٦ ـ البيئة الإدارية فى الجاهلية وصدر الإسلام	[الأستاذ محمد محمود فرغلى]
١٧ ـ حقوق المرأة فى الإسلام	[الدكتور محمد الصادق عفيفى]
١٨ ـ القرآن الكريم كتاب أُحكمت آياته[١]	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
١٩ ـ القراءات أحكامها ومصادرها	[الدكتور شعبان محمد اسماعيل]
٢٠ ـ المعاملات فى الشريعة الإسلامية	[الدكتور عبد الستار السعيد]
٢١ ـ الزكاة فلسفتها وأحكامها	[الدكتور على محمد العمارى]
٢٢ ـ حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم	[الدكتور أبو اليزيد العجمى]

الكتاب	المؤلف
٢٣ ـ الأقليات المسلمة فى آسيا وأستراليا	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
٢٤ ـ الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر	[الدكتور عدنان محمد وزان]
٢٥ ـ الإسلام والحركات الهدامة	[معالى عبد الحميد حموده]
٢٦ ـ تربية النشء فى ظل الإسلام	[الدكتور محمد محمود عمارة]
٢٧ ـ مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامى	[الدكتور محمد شوق الفنجرى]
٢٨ ـ وحى الله	[الدكتور حسن ضياء الدين عتر]
٢٩ ـ حقوق الإنسان وواجباته فى القرآن	[حسن أحمد عبدالرحمن عابدين]
٣٠ ـ المنهج الإسلامي فى تعليم العلوم الطبيعية	[الأستاذ محمد عمر القصار]
٣١ ـ القرآن كتاب أحكمت آياته [٢]	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
٣٢ ـ الدعوة فى الإسلام عقيدة ومنهج	[الدكتور السيد رزق الطويل]
٣٣ ـ الاعلام فى المجتمع الإسلامى	[الأستاذ حامد عبد الواحد]
٣٤ ـ الإلتزام الدينى منهج وسط	[عبدالرحمن حسن حبنكة الميدانى]
٣٥ ـ التربية النفسية فى المنهج الإسلامى	[الدكتور حسن الشرقاوى]
٣٦ ـ الإسلام والعلاقات الدولية	[الدكتور محمد الصادق عفيفى]
٣٧ ـ العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية	[اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ]
٣٨ ـ معانى الأخوة فى الإسلام ومقاصدها	[الدكتور محمود محمد بابللى]
٣٩ ـ النهج الحديث فى مختصر علوم الحديث	[الدكتور على محمد نصر]
٤٠ ـ من التراث الاقتصادى للمسلمين	[الدكتور محمد رفعت العوضى]
٤١ ـ المفاهيم الاقتصادية فى الإسلام	[د. عبدالعليم عبدالرحمن خضر]
٤٢ ـ الأقليات المسلمة فى أفرقيا	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
٤٣ ـ الأقليات المسلمة فى أوروبا	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
٤٤ ـ الأقليات المسلمة فى الأمريكتين	[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]

الكتاب	المؤلف
٤٥ ـ الطريق إلى النصر	[الأستاذ محمد عبد الله فوده]
٤٦ ـ الإسلام دعوة حق	[الدكتور السيد رزق الطويل]
٤٧ ـ الإسلام والنظر فى آيات الله الكونة	[الدكتور محمد عبد الله الشرقاوى]
٤٨ ـ دحض مفتريات	د. البدراوى عبد الوهاب زهران]
٤٩ ـ المجاهدون فى فطانى	[الأستاذ محمد ضياء شهاب]
٥٠ معجزة خلق الإنسان	[د. عبد الرحمن عثمان]
٥١ ـ مفهوم القيادة فى إطار العقيدة الإسلامية	[الدكتور سيد عبد الحميد مرسى]
٥٢ ـ ما يختلف فيه الاسلام عن الفكر الغربى والماركسى	[أنور الجندى]
٥٣ ـ الشورى سلوك والتزام	[د. محمد أحمد البابلى]
٥٤ ـ الصبر فى ضوء الكتاب والسنة	[أسماء عمر فدعق]
٥٥ ـ مدخل إلى تحصين الأمة	[د. أحمد محمد الخراط]
٥٦ ـ القرآن كتاب أحكمت آياته	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
٥٧ ـ كيف تكون خطيباً	[الشيخ عبد الرحمن خلف]
٥٨ ـ الزواج بغير المسلمين	[الشيخ حسن خالد]
٥٩ ـ نظرات فى قصص القرآن	[محمد قطب عبد العال]
٦٠ ـ اللسان العربى والاسلامى معاً فى مواجهة التحديات	[الدكتور السيد رزق الطويل]
٦١ ـ بين علم آدم والعلم الحديث	[الأستاذ محمد شهاب الدين الندوى]
٦٢ ـ المجتمع الإسلامى وحقوق الإنسان	[الدكتور محمد الصادق عفيفى]
٦٣ ـ من التراث الاقتصادى للمسلمين ٢	[د. رفعت اعوضى]
٦٤ ـ تصحيح مفاهيم حول التوكل والجهاد	[الأستاذ عبد الرحمن حسن حبنكه]
٦٥ ـ لماذا وكيف أسلمت	[الأستاذ أحمد سامى عبد الله]
٦٦ ـ أصلح الأديان عقيدة وشريعة	[الأستاذ عبد الغفور عطار]
٦٧ ـ العدل والتسامح الإسلامى	[الأستاذ أحمد المخزنجى]
٦٨ ـ القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته ٤	[الأستاذ أحمد محمد جمال]
٦٩ ـ الحريات والحقوق الإسلامية	[محمد رجا حنفى عبد المتجلى]

مطابع رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة